العدد 654 – الأحد 01 أيلول / سبتمبر 2024 – السنة الثالثة عشرة
www.enabbaladi.net

عنب بلدي
enab baladi
من كرْم الثورة

جريدة أسبوعية
تأسست في داريا

الأسد يعود إلى "العباءة" الاشتراكية أمام مجلس الشعب

13

حرب تكبّل قمح الحسكة

عائلة تجمع القش من أحد الحقول بريف القامشلي شمال شرقي سوريا – 1 من تموز 2022 (رويترز)

ملف خاص

أخبار سوريا 02

ماذا يفعل "الجيش الوطني" في قطاعات خدمية

تقارير مراسلين 04

"ضمّانون" يبيعون بالمفرّق في إدلب

تقارير مراسلين 05

كثرة المعروض تطيح بالباذنجان في درعا

تقارير مراسلين 05

ركود يضرب سوق السيارات في رأس العين

تقارير مراسلين 06

فوضى وتلاعب في أسعار الأدوية بصيدليات اعزاز

رياضة 19

خليفة هازارد وسلاح أمستردام في مركز الهجوم

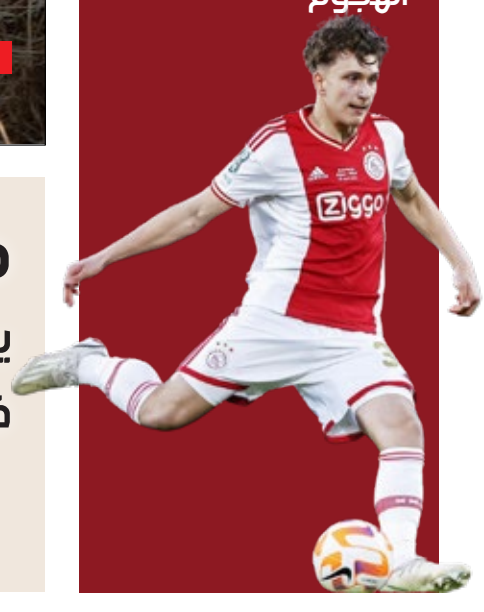

مسنون يعملون بمهن شاقة في سوريا

14

يخرج السبعيني "أبو ليث" من منزله عند السادسة صباحًا كل يوم، للعمل على "تاكسي" استأجرها مقابل مبلغ شهري من أحد أصدقائه، يجوب بها شوارع مدينة اللاذقية، بحثًا عن ركاب لا يجد إلا قلة منهم، فالغالبية امتنعوا عن استخدام "التاكسي" نتيجة ارتفاع الأجور بسبب الارتفاع المتكرر لسعر البنزين.

"أبو ليث" والد لخمسة شبان وشابتين، اثنان من أبنائه يعيشان معه ومع زوجته في منزلهم بضاحية سقوبين، ويعاني من الضغط والسكر، ومع ذلك لا يستطيع ترك عمله، لأن راتبه التقاعدي لا يتجاوز الـ290 ألف ليرة سورية (19 دولارًا أمريكيًا)، وهو مبلغ لا يكفي ثمن دوائه وطعام العائلة.

أكثر ما يقاسيه الرجل السبعيني، حرارة الجو صيفًا والبرد الشديد...

وسط فلتان أمني..

ماذا يفعل "الجيش الوطني" في قطاعات خدمية

عنب بلدي – حسن إبراهيم

تكرر ظهور فصائل ومسؤولين في "الجيش الوطني السوري" صاحب السيطرة على ريفي حلب الشرقي والشمالي، ضمن قطاعات بعيدة عن حياة العسكرة والبندقية من تعليم وحملات تشجير وغيرها، ليفتح الباب أمام جدل حول أدوار ومهام هذه الفصائل ومسؤوليها، إذ اعتبره البعض إقحامًا غير مبرر وتصدرًا للواجهة وتلميعًا للصورة، وسط واقع فوضى فصائلية تعيشها المنطقة.

ما زاد هذه النظرة السلبية تجاه هذا الظهور والتدخل هو حالة الفلتان الأمني التي يعيشها ريفا حلب الشمالي والشرقي وتل أبيض ورأس العين، بدءًا من اشتباكات لا تهدأ وصولًا إلى اعتقالات تعسفية، وتسجيل حالات وفاة، إثر تعذيب لأشخاص في سجون فصائل "الوطني" حيث تسيطر "الحكومة المؤقتة".

تعليم وتشجير وترفيت

بحسب رصد عنب بلدي، كان أبرز ظهور عسكري بقضايا مدنية، في تشرين الثاني 2023، حين أجرى وزير الدفاع في "الحكومة السورية المؤقتة"، حسن الحمادة، ومدير إدارة "الشرطة العسكرية"، خالد الأسعد، زيارات لعدة مدارس في مدن اعزاز وعفرين وجنديرس للإشراف على توزيع 5000 حصة قرطاسية للطلاب، والوقوف على الحالة الأمنية للمنشآت التعليمية.

وفي 19 من تشرين الثاني 2023، أطلقت وزارة الدفاع حملة تشجير تهدف إلى زراعة 100 ألف غرسة في الأماكن العامة والمناطق التي على وشك أن تفقد طبيعتها الحرجية، شارك بها الوزير حسن الحمادة.

وأرجعت الوزارة السبب إلى أن المنطقة عانت خلال السنوات الماضية من الآثار المدمرة للمعارك على الطبيعة، فضلًا عن الجفاف الناجم عن تغير المناخ، وهدف الحملة توسيع المنطقة الخضراء والحد من ظاهرة التصحر.

في 25 من آب الماضي، قال قائد فرقة "السلطان سليمان شاه" (العمشات)، محمد الجاسم (أبو عمشة)، إن العمل جارٍ على توسيع وإصلاح الطرقات في بلدة شيخ الحديد بعفرين لتحسين البنية التحتية.

وفي وقت سابق، ذكر أن "القوة المشتركة" (الحمزات والعمشات) تسهم بالتعاون مع المجالس المحلية في المناطق التي توجد بها بالعمل على تحسين البنية التحتية للمدن والقرى ضمن الإمكانيات المتاحة.

ونشر "أبو عمشة"، في تموز 2023، أن حملة مساندة مرضى السرطان مستمرة في عفرين ونواحيها من قبل" القوة المشتركة".

هذا الوجود العسكري في القطاعات المذكورة حاضر رغم وجود أجسام مدنية تدير المنطقة، سواء من "الحكومة المؤقتة" المؤلفة من تسع وزارات تتبع لها مديريات ومكاتب، أو من المجالس المحلية الموجودة في كل منطقة.

خلال السنوات الماضية، سجلت منظمات حقوقية وإنسانية انتهاكات من قبل عناصر وفصائل في "الجيش الوطني" في القطاعات المذكورة، وانتهاكات بحق مدارس وكوادر تعليمية، وعمليات تحطيب، واستيلاء على منازل بالقوة، وإنشاء حواجز عسكرية ومقار داخل الأحياء السكنية.

ويتألف "الجيش الوطني" من ثلاثة فيالق، ولا يوجد عدد ثابت لعناصره، إذ قال "الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة"، إن عددهم 80 ألف مقاتل في 2019، في حين ذكر تقرير لمعهد "الشرق الأوسط"، في تشرين الأول 2022، أن التشكيل يجمع من 50 ألفًا إلى 70 ألف مقاتل.

"تدخل طبيعي يحتاج إلى التنسيق"

لطالما كانت قضية ارتباط العسكر بالحياة المدنية قضية إشكالية، إذ يمثل تدخلهم في الحياة المدنية إيجابًا أو سلبًا أو حيادهم وعدم تدخلهم في المجالات المدنية ظاهرة معقدة، كما يحمل المجتمع نظرة سلبية تجاه العسكر وتدخلاتهم في الحياة المدنية، وهو ما تحدث عنه مفكرون.

ويرى مكيافيلي أن "العسكري لا يمكن أن يكون رجلًا صالحًا"، بينما يرى فولتير أن العسكر "تجسيد للقوة الغاشمة في شكل عقلاني"، ويرى كل من جيراسيموس وآدامز أن الجيش على الرغم من ضرورته، يمثّل دائمًا خطرًا على حريات الناس.

الباحث في مركز "عمران للدراسات الاستراتيجية" نوار شعبان، قال إن المؤسسات العسكرية عندما تتدخل بتفاصيل الحياة اليومية، ترافقها أصوات تندد بهذا التدخل، فالجميع يفضّل أن يكون الحكم العسكري مفصولًا عن الحياة الاجتماعية، وهو أمر منطقي في المناطق التي لا تشهد نزاعًا ومستقرة.

وأضاف أن تدخل العسكرة في منطقة تعاني من نقص سواء بالخدمات أو بقطاعات معيّنة، وتملك هذه المؤسسات

شروط تركية أوسع مقابل "مرجعية" الأسد لتطبيع العلاقات

عنب بلدي – حسام المحمود

منذ شهرين تقريبًا، تحدث الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، عن "إمكانية تطوير العلاقات" مع "السيد الأسد" وفق تعبيره، ليدشن مسارًا جديدًا حمل كثيرًا من التصريحات الرسمية والتحليلات السياسية و"التكهنات الإعلامية" بمكان وزمان لقاء محتمل بين أردوغان ورئيس النظام السوري، بشار الأسد، قبل نفي رسمي لسيل من الإشاعات والتوقعات التي انصبت في هذا الإطار، ليواصل الملف حضوره السياسي بالتصريحات، دون تطور سياسي يجمع ممثلي الطرفين على الطاولة.

في 25 من آب الماضي، ألقى رئيس النظام السوري، بشار الأسد، كلمة أمام مجلس الشعب، مع بداية الدور التشريعي الرابع، أفرد خلالها حيّزًا ليس قصيرًا تطرق خلاله لهذا المسار وطبيعته، وأسباب الفشل في تحقيق أي تقدم بهذا الإطار، من وجهة نظره.

الأسد ذهب في كلمته بعيدًا، وانتقل من لغة "إمكانية اللقاء أو العناق أو العتاب أو تبويس اللحى" التي تحدث بها في تموز الماضي، إلى اتجاه أكثر تفصيلًا في المسار العالق منذ محاولة إحيائه قبل أشهر، فأشار إلى تعامل جدي وبإيجابية مع المبادرات التي طُرحت بشأن العلاقة مع تركيا، مشيرًا إلى أن الوضع الراهن المتأزم عالميًا وانعكاساته تدفع للعمل بحركة أسرع من أجل "إصلاح ما يمكن إصلاحه".

واعتبر الأسد أن الرغبة الصادقة في استعادة العلاقات الطبيعية تتطلب أولًا إزالة أسباب تدمير هذه العلاقة، والتراجع عن السياسات التي أدت إلى الوضع الراهن، مشيرًا إلى أنها متطلبات لنجاح العملية لا شروط، مع التأكيد على عدم التنازل عن أي حق من الحقوق في أي ظرف من الظروف.

وبرأي الأسد، فإن أي عملية تفاوض بحاجة إلى مرجعية تستند إليها لتنجح، ومن أسباب عدم وصول اللقاءات السابقة إلى نتائج هو غياب المرجعية، إذ اعتبر أنها تستند إلى عدة أشياء، منها ما يتفق عليها بين الأطراف المختلفة، وقد تستند إلى القانون الدولي، أو ميثاق الأمم المتحدة، أو إلى عدد من العناوين التي تهم كل طرف من الأطراف.

وفي معرض حديثه عن الشروط التركية للتطبيع، لخّصها الأسد في ملف اللاجئين، ومسألة مكافحة الإرهاب، دون تطرق إلى مسألة الانتخابات الحرة والتوصل إلى دستور جديد في سوريا، وهو ما ذكرته أنقرة أكثر من مرة، قبل أن تضيف وتعدّل في صياغة هذه الشروط، إذ اكتفى بمقاطعة هذين الشرطين مع الانسحاب التركي ومكافحة الإرهاب أيضًا.

وبحسب رأيه، فعندما يجري الاتفاق على هذه العناوين، يجب أن يصدر بيان مشترك من خلال لقاء بين مسؤولين في الطرفين، بمستوى يحدد لاحقًا، ليتحول هذا البيان إلى ورقة تشكل مبادئ تكون قاعدة لإجراءات يمكن أن تتم لاحقًا بالنسبة لتطوير العلاقة أو الانسحاب أو مكافحة الإرهاب أو غيرها من العناوين التي تهم الطرفين.

الأسد اعتبر أن أهمية هذه المرجعية تكمن في تنظيم المفاوضات، وتمنع المناورة أو المزاجية من أي طرف، وتشكل أداة يستند إليها أصحاب المبادرات وتساعدهم على النجاح في مساعيهم، نافيًا رفض عقد لقاءات مع الجانب التركي قبل الانسحاب من سوريا، بذريعة العمل بشكل "منهجي وواقعي"، وأن المهم وجود أهداف واضحة، مع التشديد على فكرة السيادة.

المربع التركي

رؤية الأسد لمسار التطبيع قرأتها الصحافة التركية كمؤشر أقوى على إمكانية عقد لقاء بين الأسد وأردوغان، قبل أن تقدم أنقرة بشكل أكثر تفصيلًا صورة عن توقعاتها من التطبيع مع النظام السوري، إذ نقلت قناة "CNN TURK" التركية، في 28 من آب الماضي، عن مصادر في الخارجية التركية أن إعادة العلاقات إلى ما كانت عليه قبل 2011، تتلخص في أربعة عناوين رئيسة.

وبحسب ما ذكرته القناة التركية حينها، فلدى أنقرة أربعة توقعات رئيسة من التطبيع، يتمثل الأول في تطهير سوريا من "العناصر الإرهابيين" حفاظًا على سلامة أراضيها.

التوقع الثاني هو قيام سوريا بتحقيق مصالحة وطنية حقيقية مع شعبها في إطار قرار مجلس الأمن الدولي "2254"، على أساس المطالب والتوقعات المشروعة لشعبها، والعودة إلى المفاوضات الدستورية، والتوصل إلى اتفاق مع المعارضة.

ويشمل التوقع الثالث تهيئة الظروف اللازمة لعودة اللاجئين بشكل آمن وكريم، أما التوقع الرابع فهو استمرار تدفق المساعدات الإنسانية إلى مناطق سيطرة المعارضة دون انقطاع.

وبحسب المصادر ذاتها، فإذا ساد التفاهم وتنفيذ مقاربات واقعية، فسيتم تمهيد الطريق لخطوات يمكن أن تسهم في رفاهية سوريا وأمن دول الجوار، والاستقرار الإقليمي، مع التأكيد على أن هذه الصورة لن تتغير بالنسبة لتركيا، والحوار الذي سيقيمه النظام مع المعارضة يجب أن يكون مثمرًا بالنسبة لأنقرة، أي أنه من غير الوارد قيام تركيا بتغيير جذري أو التراجع عن علاقتها مع المعارضة السورية.

ولتوضيح التوقع الرابع المتعلق بتدفق المساعدات إلى الشمال، بيّنت المصادر أن موضوع الهجرة متشابك مع المساعدات الإنسانية، وعندما يتعذر تقديم المساعدات الأممية سيكون هناك خطر هجرة، لذا من المهم مرور المساعدات عبر تركيا، واستمرار عبورها.

توزيع وزير الدفاع في "الحكومة المؤقتة" حسن الحمادة حصة قرطاسية على الطلاب في ريف حلب – 1 من تشرين الثاني 2023 (وزارة الدفاع)

أو الأجسام العسكرية القدرة على سد هذه النواقص أو الفجوات، هو تدخل طبيعي من الصعب انتقاده، لأن الحاجة موجودة.

ولفت شعبان إلى أن تدخل الفصائل أو الشخصيات العسكرية في الشؤون اليومية من خدمات وغيرها يجب أن ترافقه ضوابط ورقابة وتنسيق لهذا التدخل، لتجنب وجود أجندات خلفه، بغض النظر عن أي جهة أو مسمى.

ويرى الباحث أن المؤسسات العسكرية يمكنها الاستمرار بالدعم في مختلف النواحي، لكن بالتنسيق مع الجهات المسؤولة الأخرى، من مجالس محلية ووزارات وغيرها.

وتعاني منطقة شمال غربي سوريا من أوضاع اقتصادية ومعيشية صعبة، وعوز في معظم القطاعات، إذ يسكن فيها 5.1 مليون شخص، منهم 4.2 مليون بحاجة إلى مساعدة، و3.4 مليون منهم يعانون انعدام الأمن الغذائي، 3.4 مليون منهم نازحون داخليًا، ومليونان يعيشون في المخيمات، وفق الأمم المتحدة.

وفي شباط 2023، حين ضرب الزلزال جنوبي تركيا وأربع محافظات سورية، طلبت وزارة الدفاع من جميع الوحدات والتشكيلات العسكرية في "الجيش الوطني" تقديم المساعدة لعناصر "الدفاع المدني" والآليات المطلوبة لإنقاذ وإسعاف المصابين، وتوجيه الحواجز بتأمين مرور عربات الإسعاف بشكل سريع.

انتهاكات "الجيش الوطني"

وفق تقرير لجنة التحقيق الدولية الخاصة في سوريا الصادر في آذار 2024، وثقت اللجنة انتهاكات من قبل فصائل في "الجيش الوطني" وقياديين وعناصر فيه و"الشرطة العسكرية" وكانت أبرزها:

- احتجاز واعتقالات شملت رجالًا ونساء عربًا وكردًا، استندت ظاهريًا إلى "الإرهاب"، والانتماء إلى حزب "العمال الكردستاني" والتعاون المدعى مع كيانات أجنبية.
- الاعتقال لابتزاز الأموال من العائلات، فاحتُجز المعتقلون لفترات طويلة دون مثولهم أمام قاضٍ، ثم أُطلق سراحهم دون تهمة بعد أن دفعت العائلات آلاف الدولارات.
- تعذيب المعتقلين وإساءة معاملتهم في العديد من مراكز الاحتجاز بعفرين واعزاز ومعراتا وراجو وحوار كلس.
- احتجاز أفراد بشكل غير قانوني وارتكاب أعمال قد ترقى إلى جرائم الحرب متمثلة في التعذيب والمعاملة القاسية والنهب.
- حالات معزولة من العنف الجنسي والعنف الجنساني يرتكبها أفراد من "الجيش الوطني السوري"، بما في ذلك التهديدات بالعنف الجنسي ضد المحتجزات.
- مصادرة جزء من محصول المزارعين من الزيتون، وفرض ضرائب وإتاوات على المزارعين.
- استيلاء على الأراضي التي يملكها ملاك غائبون والسيطرة عليها.
- فرض ضرائب على المساعدات النقدية الإنسانية، والطلب من العائلات تسليم نصف المبلغ من المساعدات للفصيل.
- إجلاء أسر نازحة داخليًا قسرًا من المنازل المشيدة حديثًا التي بنتها منظمة غير حكومية في قرية معبطلي، لأنهم أرادوا جعلها منازل لأفراد فرقة "العمشات".

مأسسة "الوطني"

منذ عامين، برزت عدة خطوات اتخذتها "المؤقتة" في سياق ترتيب الصفوف وهيكلة "الجيش الوطني"، بدءًا من تشرين الأول 2022، حين أطلقت "المؤقتة" خطة لتفعيل دور المؤسسات وتوحيد الفصائل، بعد سلسلة اجتماعات ولقاءات أجرتها وزارة الدفاع مع مختلف القوى العسكرية والأمنية فيه .

وفي كانون الثاني 2023، أعلن "الجيش الوطني" البدء بتنفيذ خطة تسليم جميع الحواجز الأمنية إلى إدارة "الشرطة العسكرية" في مناطق سيطرته .

وفي 20 من آذار الماضي، طالبت وزارة الدفاع المجموعات الموجودة في المنطقة وغير المنضوية تحتها بضرورة الانضمام للوزارة بشروط ومعايير "الجيش الوطني"، وذكرت أن الهدف يعود لـ"ترسيخ العمل المؤسساتي وتحسين الواقع الأمني في المنطقة".

وافتتحت وزارة الدفاع في "المؤقتة" أكاديمية عسكرية بمنطقة عفرين، في 29 من أيار الماضي، لتقديم التدريب العسكري الحديث لـ500 عنصر بشكل أولي، وذكرت أن إنشاء الكلية جاء ضمن نطاق مشروع تحويل "الجيش الوطني" إلى جيش نظامي.

وفي حزيران الماضي، وقعت الأمم المتحدة "خطة عمل" مع "الجيش الوطني" تهدف "لإنهاء ومنع التجنيد وقتل وتشويه الأطفال وفقًا لقرار مجلس الأمن 1539 (2004) والقرارات اللاحقة".

> بغض النظر عن أن المنطقة بحاجة، لكن بسبب عدم وضوح العقيدة العسكرية وطريقة تنظيم "الجيش الوطني" ببعض التفاصيل، ينبغي لهذه الأسماء أو الفصائل أو الجهات العسكرية أن تقوم بالتنسيق مع الجهات المسؤولة قبل القيام بأي عمل لتفادي حدوث أي إشكاليات في المستقبل.
>
> نوار شعبان
> باحث في مركز "عمران للدراسات الاستراتيجية"

الانشغال الروسي قد يؤثر

التصريحات التركية لم تقف عند هذا الحد، إذ نقلت وسائل إعلام تركية، في 29 من آب، عن الإحاطة الأسبوعية لوزارة الدفاع، أن الوجود التركي في سوريا يمنع تقسيم الأراضي السورية، وإنشاء "ممر إرهابي" هناك.

وأضاف المتحدث باسم وزارة الدفاع، "نريد أن نرى سوريا ديمقراطية ومزدهرة، وليس سوريا التي تعاني عدم الاستقرار، وتهيمن عليها المنظمات الإرهابية".

أوضح الخبير الاستراتيجي والباحث غير المقيم في معهد "ستيمسون" بواشنطن عامر السبايلة، لعنب بلدي، أن الرغبة الأساسية في التطبيع لدى الطرفين غير موجودة، وهي أقرب لفكرة تكتيك وتحصيل مصالح من هذه الخطوة، وهذا يفسر الدفع العراقي والروسي للقاء والتحفيز لعقده، ما يعني أنها ليست فكرة تركية- سورية، وقد يكون التكتيك التركي بما يتعلق بالسياسة التركية مهمة له هذه الخطوة، لكن بالنسبة للنظام السوري، فلا فوائد قريبة من هذه العلاقة.

الخبير الاستراتيجي رجّح أن تخفت أهمية فكرة التقارب في الفترة الحالية، في ظل الانشغال الروسي بالحرب مع أوكرانيا بعدما بدأت القوات الأوكرانية، في 6 من آب الماضي، توغلًا بريًا في الأراضي الروسية، وسيطرت على عشرات القرى والبلدات.

كما أن النظام السوري يدرك أن هناك مصالح سياسية لتركيا في سوريا، ويمكن أن يستغلها النظام لمحاولة إنهاء فكرة المعارضة، لكن ما يبدو فعلًا أن النظام غير معني في الوقت الراهن بهذه المسألة، ولا يرغب أن تكون هذه الجزئية أهم الأوراق التي تقدمها تركيا، ما سهّل على تركيا العودة إلى المربع الأول في التصعيد والتمسك بثوابت لإنعاش العلاقات مع النظام، وفق الباحث.

وحول إمكانية أن يدفع مناخ التصريحات الحالية المتبادلة إلى لقاء بين أردوغان والأسد، استبعد السبايلة إمكانية التوصل لاتفاق كبير في الفترة الحالية، مع احتمالية عقد هذا اللقاء في وقت معين من باب التكتيك، لكن في ميزان مصالح الطرفين، فإن فكرة اللقاء وعودة العلاقات دون مكتسبات حقيقية تطغى على المشهد.

وفي 14 من آب الماضي، أكد وزير الدفاع التركي، يشار غولر، الشروط الدستورية والانتخابية لتركيا فيما يتعلق بالتطبيع مع النظام السوري، قائلًا إن "الإدارة السورية" (في إشارة إلى النظام) تتصرف وكأنها لا تريد فترة من السلام، مؤكدًا ضرورة تبني دستور شامل لسوريا.

الوزير التركي أكد أن أنقرة لا يمكنها مناقشة الانسحاب من سوريا إلا بعد قبول دستور جديد وإجراء انتخابات وتأمين الحدود، وأضاف موجهًا الحديث للنظام، "أجرِ انتخابات حرة، ومن يصل إلى السلطة نتيجة لذلك، نقول نحن مستعدون للعمل معه"، وفق ما نقتله وسائل إعلام تركية.

الرئيس التركي رجب طيب أردوغان ورئيس النظام السوري بشار الأسد – 10 حزيران 2010 (رويترز)

بسبب تحكم التجار بالأسعار والتصدير

"ضمّانون" يبيعون بالمفرّق في إدلب

قطف ثمار "اليوملي" من أحد بساتين دركوش بريف إدلب – 17 من كانون الأول 2022 (عنب بلدي/ محمد نعسان ديل)

إدلب – أنس الخولي

يعتمد مخلص على بيع محصول الفاكهة الذي ضمنه بأساليب جديدة، كتصنيف المنتج ووضعه في عبوات من تصميمه وتغليفه بطريقة لافتة، والبيع مباشرة للمواطن بهدف تحقيق أرباح إضافية، بدلًا من عرض المحصول على التجار الذين يشترون المحاصيل بثمن أقل.

يعمل مخلص الدرة (50 عامًا) بضمان الفاكهة منذ صغره، فهي المهنة التي ورثها عن أبيه، وكانوا يضمنون أراضي في غوطة دمشق بشكل متواصل طيلة العام، وما إن ينتهي موسم فاكهة حتى يبدأ موسم آخر.

منذ وصول مخلص إلى الشمال السوري بحملات التهجير القسري عام 2018، بدأ رحلة البحث عن موقع جغرافي مشابه لبيئة الغوطة الشرقية الزراعية، ووجد ضالته في منطقة حارم شمالي إدلب، التي تتميز بكثرة بساتين الفاكهة فيها.

كما تشتهر مدينة حارم بينابيع المياه المعدنية، وكثافة بساتين الفاكهة بأنواع متعددة أبرزها المشمش والخوخ والمانجو والجانرك والتين، كما تشتهر بزراعة الزيتون وزراعة الخضراوات المتنوعة.

حارم تشبه الغوطة

قال مخلص لعنب بلدي، إن منطقة حارم هي "غوطة مصغرة" نظرًا إلى فارق المساحة والأعراف الزراعية، لافتًا إلى أنه واجه صعوبة بالتعرف إلى المزارعين والتجار في بداية وصوله إلى الشمال السوري.

وذكر أن "الضمّانين" يعتمدون على المعارف والثقة فيما بينهم بضمان المواسم، خاصة في مسألة دفع مبلغ الضمان، حيث كان "الضمّانون" يعتمدون على علاقاتهم مع المزارعين في تحديد مقدار الدفعات ومواعيدها، أما اليوم فالأمر يحتاج إلى توفر مبالغ كبيرة مباشرة دون انتظار.

وبحسب مخلص، فإن كثرة المزارعين و"الضمّانين" في منطقة حارم أدت إلى تزاحمهم على ضمان المواسم المختلفة، مشيرًا إلى أنه يضمن حاليًا في حارم عشرة أطنان من الخوخ، وهو ما كان يضمن عشرة أضعافه في الغوطة.

بدوره، قال "الضمّان" أحمد الأحمد (45 عامًا)، وهو مهجر من ريف دمشق، إنه كان يضمن سابقًا مواسم الفاكهة بمختلف المناطق الزراعية في سوريا كدرعا والسويداء وغوطتي دمشق الشرقية والغربية والزبداني، أما اليوم فسعي جميع "الضمّانين" محصور في منطقة حارم ودركوش وأجزاء من سهل الغاب في الشمال السوري.

وأضاف أحمد أن "الضمنة" الواحدة سابقًا كانت تتجاوز ألف دونم من المحصول، أما اليوم فتبلغ مساحة حارم جميعها نحو 3000 دونم، وفيها أكثر من 3000 "ضمّان" من أبناء المنطقة والمهجرين، ما يؤدي إلى تزاحم وتنافس شديد.

البيع للزبون فورًا

يشرف على تصدير الإنتاج المحلي من الفاكهة في إدلب عدد قليل من التجار، الذين تجمعهم علاقات مع تجار آخرين في الدول المجاورة.

ويحتكر التجار عمليات التصدير، ويفرضون الأسعار التي يجدها عدد كبير من المزارعين أثمانًا بخسة لما صيلهم .

ويحاول بعض المزارعين و"الضمّانين" في الشمال السوري البحث عن وسائل أخرى لتسويق بضائعهم، وبيعها بشكل مباشر للمواطن بدل بيعها للتجار.

قال مخلص الدرة، إن "الضمّانين" كانت تجمعهم علاقات مع تجار في دول مجاورة، ويصدّرون لهم المحاصيل دون وسيط، لكن ظروف التهجير وتراجع الأعمال أدت إلى انقطاع هذه العلاقات.

وبعد البدء بضمان المحاصيل في الشمال، وجد هؤلاء أن التجار يفرضون أسعارًا بخسة على المزارعين والمحاصيل، وفق مخلص.

وحتى لا يبقى مخلص "تحت رحمة التجار"، صنع عبوات خاصة بسعات مختلفة من كيلوغرام وكيلوغرامين وخمسة، وصار يضع الفاكهة داخلها ويعرضها في محله الخاص لبيعها.

ويفضّل مخلص البيع في الأسواق المحلية ولو تحمل خسارة معينة على بيع المحاصيل للتجار، لافتًا إلى خطورة عمل "الضمّان" الذي قد يتعرض لخسائر مالية كبيرة، سواء بسبب الآفات الزراعية أو انخفاض الأسعار بشكل مفاجئ.

من جانبه، ذكر المزارع أحمد الأحمد أن المزارعين و"الضمّانين" في الشمال السوري يتعرضون بشكل دائم لخسائر بسبب احتكار التجار، لافتًا إلى عدم وجود اتحاد أو جهة تمثل الفلاحين والمزارعين وتحميهم.

جولات إحصائية

يشتكي مزارعو الفاكهة في إدلب من قلة الدعم وغياب أسواق التصريف، ودخول المنتجات التركية إلى الأسواق ما يعرضهم لخسائر مالية.

في موسم 2023، شهد موسم قطاف التين ظروفًا مضطربة، منها دخول التين التركي إلى الأسواق، وسوء تصريف المنتج المحلي، وإصابته بأمراض الحلزون، ما أدى إلى تراجع أسعاره وكساد المحصول.

وفي حزيران الماضي، تعرضت بساتين العنب في إدلب شمالي غربي سوريا لأضرار بالغة أطاحت بـ95% من الموسم الزراعي، وتراجع إنتاجها بنسبة 50%، إثر تقلبات الطقس.

المدير العام للزراعة في حكومة "الإنقاذ" بإدلب، المهندس تمام الحمود، قال لعنب بلدي، إن وزارة الزراعة تجري جولات إحصائية للمحاصيل الزراعية مقسمة على مدار السنة، لافتًا إلى عدم الانتهاء من إحصاء الأشجار المثمرة لهذا العام.

ويمكن تقدير مساحة الأشجار المثمرة (عدا الزيتون) بحوالي 12250 هكتارًا، وتصل مساحة الأراضي المزروعة بالزيتون إلى حوالي 80 ألف هكتار، وفق الحمود.

أما عن صادرات الفواكه من مناطق إدلب إلى الدول المجاورة، فأوضح الحمود أن الإحصائيات لم تنتهِ للموسم الحالي بسبب عدم نهاية الموسم، وفي عام 2023، بلغت صادرات الفاكهة 15380 طنًا، مشيرًا إلى أن الصدارة كانت لفاكهة الخوخ التي بلغت صادراتها 5434 طنًا.

فرصة لمؤونة "المكدوس"..
كثرة المعروض تطيح بالباذنجان في درعا

درعا – حليم محمد

بدأ موسم تحضير "المكدوس" مبشرًا لعائلات في درعا جنوبي سوريا، مع انخفاض سعر الباذنجان، وهو ما لم يرضِ المزارعين الذين ينتظرون أسعارًا تحقق لهم هامش ربح.

في آب الماضي، وصل سعر كيلو الباذنجان في سوق "الهال" بريف درعا إلى 1000 ليرة سورية، وهو سعر منخفض غير معتاد، رغم ارتفاع معظم أسعار السلع والمواد.

وكان سعر كيلو الباذنجان 4000 ليرة سورية (27 سنتًا من الدولار) خلال ذروة الموسم، في العام الماضي.

وأرجع مزارعون التقتهم عنب بلدي انخفاض أسعار الباذنجان هذا العام لكثرة المعروض منه، وعدم استقطاب مشاغل "المكدوس" للمادة مقارنة بعام 2023.

لا يغطي تكاليف جنيه

يملك المزارع محمود عشرة دونمات من الباذنجان في بلدة جلين بريف درعا الغربي، واعتبر أن سعر الباذنجان لا يغطي تكاليف الجني، إذ يكلف جني الكيلو الواحد منه ما يقارب 2000 ليرة سورية (13سنتًا).

وتتمثل التكلفة في أجور العمال، إذ وصلت أجرة العامل في الساعة الواحدة إلى 6000 ليرة سورية (40 سنتًا)، وثمن الكيس الذي يعبأ الباذنجان فيه 500 ليرة سورية.

وتكمن التكلفة الكبرى في نقل المحصول إلى سوق "الهال"، وتبلغ أجرة السيارة من ريف درعا إلى دمشق 1.5 مليون ليرة سورية (100 دولار أمريكي)، وأجرة السيارة من ريف درعا الغربي إلى سوق "هال" طفس 300 ألف ليرة سورية (20 دولارًا).

وقال المزارع، إن الباذنجان يحتاج إلى الجني كل يومين، وإهماله وعدم جنيه يؤثر على جودة المحصول.

وأمل المزارع في تحسن سعر الباذنجان مع بدء السكان في درعا بصناعة "المكدوس" منذ منتصف آب، لكن آماله خابت إذ بقي السعر منخفضًا.

التخفيضات لم تنشط حركة البيع

ركود يضرب سوق السيارات في رأس العين

جمود في سوق السيارات برأس العين – 26 من آب 2024 (عنب بلدي)

عنب بلدي – رأس العين

تشهد أسواق السيارات في مدينة رأس العين حالة ركود في عمليات البيع والشراء، رغم انخفاض تدريجي طرأ على أسعار السيارات منذ منتصف عام 2023.
أرجع تجار قابلتهم عنب بلدي حالة الركود إلى ضعف المواسم الزراعية، وعدم تسويقها بالشكل المطلوب، ما أدى إلى تراجع القدرة الشرائية لدى شريحة واسعة من السكان، والاهتمام باحتياجات الأسرة الأولية.

جمود في السوق

قال سمير الدرويش، وهو سمسار سيارات، لعنب بلدي، إن حركة العمل في السوق شهدت تراجعًا ملحوظًا، حيث لم يتمكن من عقد أي صفقة بيع سيارات خلال الأشهر الستة الماضية.
سمير أوضح أن الركود في السوق وانخفاض الطلب يعود إلى ارتفاع تكاليف المعيشة، وتراجع النشاط الزراعي، ورغبة بعض الناس في شراء السيارات بالتَّين.
وأشار إلى أن الكثير من الزبائن يترددون في اتخاذ قرارات شراء كبيرة مثل السيارات، ما أسفر عن تراجع ملحوظ في الصفقات التي يقوم بها.
وحصلت عنب بلدي على قائمة بأسعار السيارات في رأس العين، حيث شهدت انخفاضًا ملحوظًا بين عامي 2023 و2024.

احتياجات العائلة أولًا

تلعب الأوضاع الاقتصادية المتردية دورًا رئيسًا في تقليل قدرة الناس على شراء سيارات جديدة أو مستعملة، فالعديد من الأسر في رأس العين تجد نفسها مضطرة لتخصيص مواردها المالية لتلبية الاحتياجات الأساسية.
محمد عزو، أحد سكان رأس العين، قال لعنب بلدي، إنه كان يرغب في شراء سيارة، لكن الظروف المعيشية الصعبة وارتفاع الأسعار في المنطقة جعلا ذلك أمرًا بعيد المنال عنه.
وأوضح محمد الذي يعمل في الزراعة، أن الموسم الزراعي لهذا العام كان ضعيفًا، ولم يتمكن من تسويق محصول الحبوب لـ"الحكومة المؤقتة"، حيث اقتصر الاستلام على كميات محدودة من القمح القاسي.
واعتبر أن امتلاك دراجة نارية بات تحديًا كبيرًا رغم انخفاض الأسعار في الأسواق، فكيف هو الحال بالنسبة لامتلاك سيارة، خاصة أن تكلفة المحروقات والصيانة مرهقة أيضًا.
ويباع ليتر البنزين من صنف "البوتان" بـ17 ألف ليرة سورية، و"المقطّر" بـ16 ألف ليرة، وليتر البنزين العادي (المكرر بالحراقات) بـ13 ألف ليرة، والبنزين الأوروبي والتركي بـ23 ألف ليرة سورية (55 ليرة تركية).
ويباع ليتر المازوت العادي (المكرر بالحراقات) بـ12 ألف ليرة سورية، وليتر المازوت "المكرر" والمازوت الثقيل المستخدم للتدفئة والطهو بـ10 آلاف ليرة، وليتر المازوت الأوروبي والتركي بـ17 ألف ليرة سورية (40 ليرة تركية).
وتتراوح أجور العمال اليومية بين 80 ألفًا و100 ألف ليرة سورية، ويعمل معظم سكان المنطقة البالغ عددهم نحو 115 ألف نسمة بالزراعة وتربية المواشي.

تخفيضات دون جدوى

لا تزال حالة الركود موجودة، رغم تقديم أصحاب معارض السيارات في رأس العين عروض تخفيضات إضافية وتسهيلات في الدفع لجذب الزبائن.
قال علي الحسن، وهو صاحب معرض سيارات في رأس العين، إنه أجرى تخفيضات تصل إلى 35% على السيارات، لكنها لم تحقق أي نتائج إيجابية.
وذكر لعنب بلدي أن الجمود الاقتصادي وضعف الدخل العام في المنطقة كان لهما تأثير على حركة السوق.
وأشار علي إلى أنه لم يتمكن من بيع أكثر من سيارتين شهريًا، ولجأ إلى بيع السيارات بالتَّين لتسهيل الشراء على الزبائن، إلا أن هذه الطريقة سببت له خسائر مالية كبيرة كون أغلب السكان يعتمدون على الزراعة، ولم يستطيعوا دفع المستحقات المتبقية عليهم بسبب عدم تسويق المحاصيل.
وتدخل السيارات من تركيا إلى رأس العين عبر معبر "رأس العين" الحدودي، حيث تُفرض رسوم جمركية تتراوح بين 150 و400 دولار أمريكي، وذلك بناء على موديل السيارة وحداثته.
وتسمح تركيا لتجار السيارات في رأس العين باستيراد السيارات الأوروبية المستعملة، والعبور عبر أراضيها حتى تاريخ إصدار سابق عشر سنوات فقط، أما السيارات المنتجة بعد هذا التاريخ فتحتاج إلى إذن خاص لدخولها عبر الأراضي التركية إلى رأس العين.

تكاليف تسجيل أيضًا

لا تقتصر التكاليف على قيمة السيارة فقط، إنما توجد قرارات من المجلس المحلي بتسجيل الأشخاص مركباتهم في مديرية النقل والمواصلات في المجلس المحلي، تحت طائلة الحجز والغرامة المالية للمخالفين.
وفي حال عدم التسجيل، تحجز الجهات المختصة المركبات غير المسجلة وتودعها في "كراج الحجز".
ومن أجل إخراج المركبة المحجوزة، يتعين على المالك دفع غرامة مالية قدرها 2000 ليرة تركية في مديرية مالية المجلس، بالإضافة إلى تسجيل المركبة أصولًا.
وبحسب تقرير أعدته عنب بلدي، فإن تكاليف تسجيل المركبات تختلف حسب المركبة، ومنها الدراجات النارية بتكلفة 160 ليرة تركية، والشاحنة الصغيرة الخاصة بـ450 ليرة تركية، والشاحنة الصغيرة العامة بـ600 ليرة تركية، والمركبة الزراعية بـ250 ليرة تركية، وشاحنة النقل القاطرة 1300 ليرة تركية.
وفي حزيران الماضي، قال مصدر في مديرية المواصلات لعنب بلدي، إن عدد المركبات المسجلة في رأس العين بلغ 24450 مركبة، وإن العدد في ازدياد يومي نتيجة إقبال السكان على تسجيل سياراتهم.

أسعار السيارات في رأس العين

نوع السيارة	السعر بالدولار عام 2023	السعر بالدولار عام 2024
"هيونداي بورتر H100" موديل 2007 حتى 2011	بين 7000 و8000	بين 4300 و5300
"جيب سنتافيه" موديل 2004 حتى 2005	بين 5000 و5600	بين 3800 و4500
"جيب SM" موديل 2006 حتى 2010	بين 5500 و6500	بين 4400 و5400
"جيب كيا سورينتو"	بين 6000 و6700	بين 5000 و5800
سيارة النقل "كيا" موديل 2007 حتى 2011	بين 5000 و8000	4000

وفي حال لم يتحسن السعر في أيلول الحالي، يفكر المزارع في بيع المحصول كمراعٍ للمواشي.
لدى ياسر (47 عامًا)، وهو مزارع من بلدة المزيريب في ريف درعا الغربي، خمسة دونمات مزروعة بالباذنجان، وقال إن استجرار مشاغل "المكدوس" للباذنجان ضعيف مقارنة بالعام الماضي، وإنه باع كامل محصوله للمشاغل في موسم 2023، في حين أنه يورد إنتاجه للسوق خلال الموسم الحالي.
وأضاف أن الخسارة لم تتوقف عند عدم القدرة على تأمين تكاليف الجني، إنما تتعدى إلى تكاليف الزراعة، إذ قدّر خسارته بما يقارب 15 مليون ليرة سورية (1000 دولار أمريكي) في حال استمر انخفاض أسعار الباذنجان.
وقدّر مدير زراعة درعا، بسام الحشيش، إنتاج المحافظة من الباذنجان الموسم الحالي بـ35 ألف طن، في تصريح لجريدة "الثورة" الحكومية.

سعر مناسب لـ"المكدوس"

منذ منتصف آب، بدأت نساء من درعا بصناعة "المكدوس"، وهو أحد أنواع المؤونة التي تحرص النساء على تخزينها، إذ لا يخلو أي منزل في درعا منها .
سارعت سناء (40 عامًا) القاطنة في مدينة طفس إلى صناعة "المكدوس" مبكرًا، للاستفادة من انخفاض سعر الباذنجان.
وقالت إن أسعار المكونات الأخرى مرتفعة، لكن سعر كيلو الباذنجان بـ1000 ليرة شجّعها، فهي اشترت الكيلو عام 2023 بـ4000 ليرة.
أنهت سناء مؤونتها بـ100 كيلو باذنجان، وقالت إنها اشترت كيلو جوز فقط بسعر 120 ألف ليرة سورية (ثمانية دولارات) مقابل 100 ألف ليرة سورية لسعره في العام الماضي.
واقتصدت سناء في كميات الجوز، إذ تحتاج كمية الـ100 كيلو باذنجان إلى ما لا يقل عن ثلاثة كيلوغرامات جوز.
وحافظت الفليفلة على سعرها، إذ تباع في سوق "الهال" بسعر 5000 ليرة سورية، واحتاجت سناء إلى 50 كيلوغرامًا من الفليفلة الحارة والحلوة لصناعة كميتها من "المكدوس".
ووصل سعر كيلو الثوم الذي يدخل في صناعة "المكدوس" إلى 75 ألف ليرة سورية (خمسة دولارات)، مقابل 35 ألفًا للموسم الماضي، وتحتاج السيدة إلى كيلو ثوم واحد لإعداد مؤونة "المكدوس".
في حين حافظ زيت "عباد الشمس" على سعره 25 ألف ليرة سورية لليتر الواحد.
واستبدلت سناء زيت "عباد الشمس" بزيت الزيتون للعام الثاني على التوالي، إذ وصل سعر الليتر منه إلى 60 ألف ليرة سورية.
وقدّرت السيدة تكلفة صناعة "المكدوس" لهذا العام بـ600 ألف ليرة سورية، اعتمدت في تأمين المبلغ على حوالة أرسلها شقيقها المغترب في أوروبا.

خضراوات في سوق "الهال" بمدينة طفس في ريف درعا الغربي – 28 من آب 2024 (عنب بلدي/ حليم محمد)

السكان يطالبون بتشديد الرقابة

فوضى وتلاعب في أسعار الأدوية بصيدليات اعزاز

تتفاوت أسعار الأدوية بين صيدلية وأخرى في مدينة اعزاز بريف حلب - 28 من آب 2024 (عنب بلدي/ ديان جنباز)

اعزاز – ديان جنباز

يشتكي سكان في مدينة اعزاز شمالي حلب من تفاوت أسعار الأدوية بين الصيدليات، يصل الفرق في بعضها إلى 100%، دون وجود آلية واضحة لمعرفة سبب هذه الفروقات.

ويواجه بعض المرضى، خاصة أولئك الذين يحتاجون إلى أدوية دورية لعلاج الأمراض المزمنة، صعوبة في الحصول على أدويتهم بأسعار معقولة، ما يزيد من الأعباء المالية عليهم.

وفي ظل هذا التفاوت وغياب الرقابة الفعالة، يجد الكثير من المرضى أنفسهم مضطرين للتنقل بين الصيدليات بحثًا عن الأسعار الأكثر ملاءمة، وسط حالة من الفوضى السعرية التي تزيد من معاناتهم، حسب عدد من السكان التقتهم عنب بلدي.

سعر مضاعف

تمكن أحمد درويش القاطن في مدينة اعزاز من توفير 75 ليرة تركية بمجرد أن قطع مسافة 15 مترًا فقط، قائلًا، إن هذا التفاوت مزعج له ويدفعه للاستفسار كل مرة، فهو يضطر لشراء احتياجات طفليه من حليب ومعقم وبودرة وأدوية بشكل منتظم.

وقال لعنب بلدي، إنه استفسر عن معقم للأطفال في إحدى الصيدليات، ووجد سعره 150 ليرة تركية، لكنه وجده أرخص في صيدلية قريبة ليشتري نفس الدواء بـ75 ليرة تركية.

ولفت الشاب إلى ضرورة تدخل الجهات المعنية لوضع تسعيرة ثابتة لجميع الصيدليات، والحد من التفاوت في الأسعار، ومراعاة أوضاع الناس الفقراء.

ويشكل تفاوت الأسعار وارتفاعها عبئًا ماليًا على الأهالي، إذ لا تتجاوز أجور عمال المياومة في المنطقة 100 ليرة تركية (تعادل ثلاثة دولارات أمريكية)، كما أن نسبة البطالة مرتفعة وصل معدلها إلى 88.82%، ما يشير إلى أزمة بطالة غير مسبوقة، وفق فريق "منسقو استجابة سوريا" العامل في المنطقة.

أعباء مالية وتداعيات صحية

تعاني يسرى رمضان من أمراض مزمنة تشمل القلب والسكري والضغط، وتحتاج شهريًا إلى شراء عدة أدوية أساسية، وقالت إنها تواجه صعوبات نتيجة تفاوت أسعار الأدوية بين الصيدليات، ما يزيد من العبء المالي عليها.

وأضافت السيدة المقيمة في اعزاز أنها تجد نفسها مضطرة أحيانًا لعدم شراء بعض الأدوية التي تعد أسعارها مرتفعة، بسبب عدم قدرتها على تحمل فروق الأسعار، ما يزيد من معاناتها الصحية.

وذكرت لعنب بلدي أنها تشتري علب دواء "vastarel mr"، الذي يُستخدم لعلاج الذبحة الصدرية، من إحدى الصيدليات في الحي، ويصل سعره إلى 200 ليرة تركية، وخلال زيارة لإحدى قريباتها في حي آخر، اشترت نفس الدواء لتكتشف أن سعره 145 ليرة تركية فقط .

بعد إدراكها مسألة التفاوت، صارت يسرى توفر نحو 300 ليرة تركية شهريًا، ولم تعد تعتمد على صيدلية واحدة، إذ صارت تشتري أدويتها من عدة صيدليات مختلفة لضمان الحصول على أسعار أقل، مضيفة أنه أمر مرهق أيضًا .

غياب الرقابة الفعالة

صيدلاني في مدينة اعزاز، فضّل عدم ذكر اسمه، قال لعنب بلدي، إن بعض الصيدليات ترتكب تجاوزات في تسعير الأدوية، حيث تعتمد على التلاعب بنظام المحاسبة.

وأضاف أن المشكلة تكمن في عدم وضع سعر محدد على عبوات الأدوية، ما يسمح لبعض الصيدليات بتحديد الأسعار بشكل غير منضبط عند دخول الزبائن، مشيرًا إلى أن هذه التجاوزات تحدث في عدد محدود من الصيدليات.

وذكر الصيدلاني أن غالبية الصيدليات تلتزم بالأوامر الصادرة عن النقابة فيما يتعلق بتحديد الأسعار، وأن هناك معايير محددة لتحديد الربح الدوائي بنسبة 30% من سعر العلبة الدوائية.

ولفت إلى ضرورة تكثيف الرقابة على المستودعات والصيدليات، وتوجيه تنبيهات للذين يبيعون بأسعار أعلى، مع التهديد بـ"تشميع" (إغلاق) المستودع أو الصيدلية في حال تكرار المخالفة.

وفيما يتعلق بتقلب أسعار بعض الأدوية، أوضح الصيدلاني أن هناك بعض الأصناف التي تتغير أسعارها بشكل ملحوظ، خاصة تلك التي تأتي من مناطق سيطرة النظام، بسبب ارتفاع تكاليف المادة الدوائية من المصدر.

ولا يزال التفاوت في أسعار الأدوية موجودًا في اعزاز، رغم وجود مديرية صحة تابعة للمجلس المحلي، ونقابة أخرى تتبع لـ"الحكومة السورية المؤقتة".

وتجري مديرية الصحة اجتماعات بين فترة وأخرى، بعضها لمناقشة وضع الصيدليات، من حيث الالتزام بالتسعيرة الدوائية، وجدول المناوبات المعتمد والعمل به.

ظروف معيشية متردّية

ربّات منازل ديريات يفتقدن طقس "المونة"

دير الزور – عبادة الشيخ

لأول مرة منذ 35 عامًا تغيب أطباق المؤونة عن منزل الخمسينية سمر الأحمد القاطنة في بلدة غرانيج بريف دير الزور الشرقي، بعد أن كان شهرا آب وأيلول من كل عام حافلين بتخزين الباذنجان والملوخية والبامية و"الكشك" والكوسا والمربيات، وتحضيرها لفصل الشتاء.

السيدة النازحة من مدينة دير الزور إلى ريفها بالكاد تستطيع تأمين وجبة عائلتها اليومية والاحتياجات الأولية، فعمل أبنائها الثلاثة بالمياومة والعتالة لا يجلب مردودًا ماليًا لتحضير المؤونة، إذ يتقاضى الواحد منهم في اليوم 35 ألف ليرة سورية، في عمل غير ثابت.

وقالت السيدة لعنب بلدي، إن أبناءها يجلبون ما يحصلون عليه من خضراوات في سوق "الهال"، ما يساعدهم على تحمل المصاريف وإيجار المنزل الذي يبلغ 400 ألف ليرة سورية.

وينطبق حال السيدة على قاطنين كثر في دير الزور، سواء بغياب المؤونة أو الاقتصاد فيها وتراجع كميات التخزين منها، إثر ظروف اقتصادية ومعيشية متردية وقلة في فرص العمل.

وتنقسم دير الزور إلى قسمين، الشرقي وتسيطر عليه "الإدارة الذاتية" وذراعها "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد)، والغربي الواقع تحت سيطرة النظام السوري.

.

طقوس غائبة.. نصف الكمية

بحسرة، تستذكر هيام الطباش (45 عامًا) القاطنة في قرية الطيبة أجواء تحضير المؤونة خلال السنوات الماضية، حين كانت تبدأ برفقة بنات العائلة بتحضير الخضراوات والمربيات مطلع شهر آب من كل عام.

وقالت السيدة التي تعمل معلمة، إن راتبها الشهري لم يعد يكفي لمصروف يومين أو ثلاثة، الأمر الذي جعلها تعزف عن تجهيز المؤونة، وحالها حال الكثير من الأسر، بحسب قولها.

وذكرت أنها لم تستطع حتى تجفيف الباذنجان كالسابق، بالرغم من انخفاض سعره في بداية موسمه.

أما مروى الجمال (23 عامًا) العاملة في مجلس "دير الزور المدني"، فقالت إن ارتفاع تكلفة المؤونة أجبر عائلتها على تخزين نصف الكمية المعتادة.

وأضافت أن عائلتها كانت تحضّر وتجفف في الأعوام السابقة 200 كيلوغرام ملوخية، و100 كيلو باذنجان، و25 كيلو من "الكشكة"، و35 كيلو بامية، وقرابة 100 كيلو من "المكدوس"، لكن هذا العام تراجعت كلها الى النصف تقريبًا.

خضراوات غالية في موسمها

إضافة إلى تردي الأوضاع الاقتصادية، أثر ارتفاع أسعار الخضراوات الصيفية في موسمها على تحضيرها كمؤونة، خاصة بعد تصعيد عسكري شهده ريف دير الزور خلال آب الماضي.

شهاب الخلف، تاجر في سوق "الهال" ببلدة ذيبان بريف دير الزور الشرقي، قال لعنب بلدي، إن ارتفاع أسعار الخضراوات دفع كثيرين لعدم شرائها وتخزينها، مضيفًا أن ارتفاع أسعار المواد التي تستخدم للمؤونة مثل "مكدوس الباذنجان"، دفع كثيرين إلى التخلي عن إعداده.

ووصل سعر الكيلو من الباذنجان إلى 7000 ليرة، والفليفلة الحمراء إلى 6500 ليرة، وليتر زيت الزيتون إلى 120 ألفًا، وسعر كيلو الجوز إلى 150 ألف ليرة، وجميعها يدخل في تحضير "المكدوس".

وذكر التاجر أن تدهور مستوى الأجور أدى إلى عزوف العديد من العائلات عن المؤونة، ودفعهم فقط لشراء حاجيات ليوم أو يومين فقط، إضافة إلى غياب الفول والبازلاء منذ سنوات لكونهما يحتاجان إلى الكهرباء (متقطعة ورديئة).

ويعيش سكان المنطقة أوضاعًا معيشية متردية، أسوة بمناطق النفوذ المختلفة على الجغرافيا السورية، في حين تعتبر المناطق التي تسيطر عليها "الإدارة الذاتية" الأغنى في سوريا، إذ تضم معظم آبار النفط، إلى جانب كونها توصف بسلة سوريا الغذائية، نظرًا إلى النشاط الزراعي الكبير فيها.

وتزيد المعاناة بتدهور العملة المحلية، ففي مناطق سيطرة "الإدارة الذاتية" لا يتجاوز راتب الموظف مليون ليرة سورية (65 دولارًا أمريكيًا)، بينما يصل الحد الأدنى للرواتب في مناطق سيطرة النظام إلى 279 ألف ليرة سورية (18 دولارًا).

تحديات يواجهها ذوو الإعاقة في الشمال السوري

نسبة ذوي الإعاقة من عدد السكان حتى عام 2021

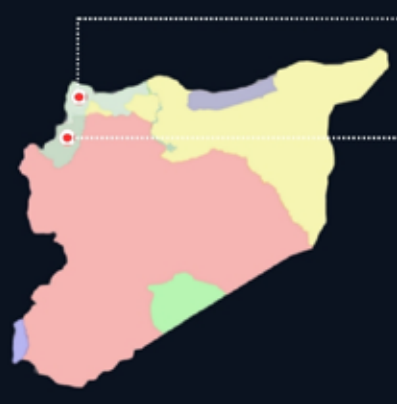

%19
في مناطق نفوذ "الحكومة المؤقتة" – ريف حلب

%28
في مناطق نفوذ حكومة "الإنقاذ" – إدلب

نسب أنواع الإعاقة

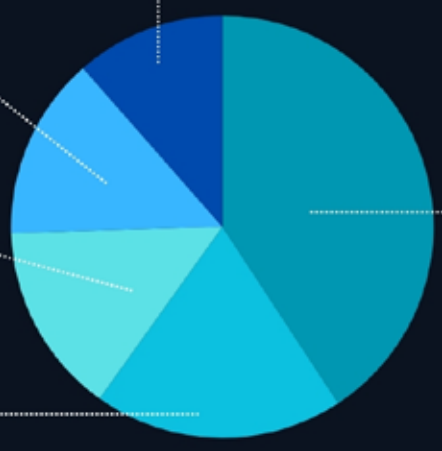

%18
ضعف في السمع

%64
إعاقات جسدية تتعلق بالمشي

%22
إعاقات مرتبطة بالذاكرة

%23
صعوبات التواصل

%30
إعاقات بصرية

الخدمات

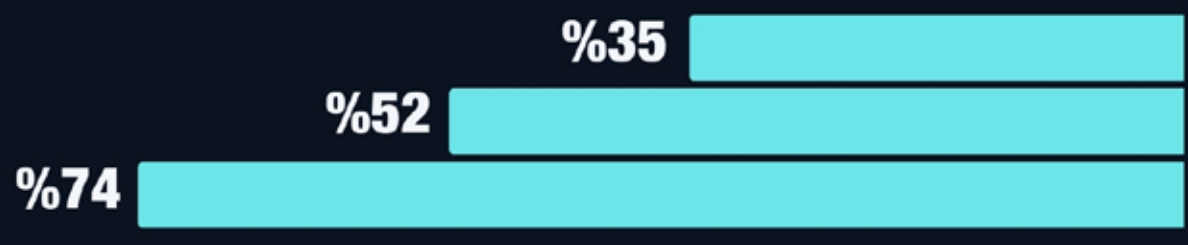

خدمات النقل متاحة لهم جزئيًا **%35**

خدمات النقل غير متاحة لهم **%52**

لا تتاح لهم الخدمات الأساسية **%74**

الوصول لأجهزة مساعدة

لا يصلون **%41**

يصلون **%46**

الدخل والحصول على عمل

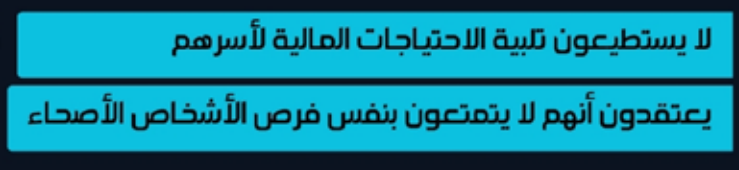

لا يستطيعون تلبية الاحتياجات المالية لأسرهم **%73.6**

يعتقدون أنهم لا يتمتعون بنفس فرص الأشخاص الأصحاء **%74**

المصدر: مجموعة الحماية العالمية (The Global Protection Cluster)

EnabBaladi.net

مسؤولية وسائل الإعلام في "مقال الرأي"

علي عيد

يعتبر "مقال الرأي" من الأنواع الإعلامية التي تتيح فيها وسائل الإعلام المجال لأشخاص معروفين، أو خبراء من ذوي الاختصاصات، للتعبير عن آرائهم وأفكارهم حيال قضايا مختلفة.

ومن إشكاليات مقال الرأي أنه قد يخرج عن المألوف أو الموضوعي، أو يتضمن اتهامات، أو يستخدم لغة عدائية، أو خطاب كراهية أو تجديف، أو يقدم معلومات خاطئة تتسبب بضرر مادي أو معنوي.

وخلاف ما سبق، فقد يستفز كاتب الرأي جمهور الوسيلة الإعلامية نفسها، متسببًا بضرر يعود عليها، إن لم يكن قانونيًا فقد يكون في موقف الجمهور منها، وبالتالي حجم متابعتها أو تصديقها، حتى ولو ذيّلت مقال الرأي بعبارات تفيد بعدم مسؤوليتها عن هذا المحتوى.

وسبق أن كتبت في ذات الموضوع، أن مقال الرأي هو أرفع مستوى للكتابة، وأكثرها حساسية، على اعتبار أن كاتبه يجب أن يتمتع بالخبرة الكافية في المجال الذي سيكتب فيه، فإن كان مقال الرأي يمثل افتتاحية الوسيلة الإعلامية، فهو يعبر عن موقفها من قضية بالغة الحساسية، ويجب على من يكتبه أن يكون صانع سياسات داخل الوسيلة الإعلامية، وقلمًا عارفًا وواسع الاطلاع.

وميزت وقتها بين عمود أو مقال الرأي الافتتاحي، ومقال الرأي الخاص بخبراء ومتخصصين، لكن هناك أمرًا آخر يتعلق بالمسؤولية القانونية المهنية والأخلاقية، وتبعات عمود الرأي على الوسيلة الناشرة، وحجم مسؤوليتها، أو أحقية حججها بالتنصل.

لا يتحمل الجمهور مسؤولية موقفه، ولا يمكن محاسبته على هذا الموقف، على اعتبار أن الجمهور يقرأ من الصحيفة أو الوسيلة الإعلامية ذاتها مضمونًا يراه مخالفًا لما يعتقد، أو يمس بعاداته أو قيمه، أو حتى توجهاته السياسية والثقافية.

لا يقف الحدّ عند عبارة تنصل تضعها الوسيلة الإعلامية لكي تتجنب مساءلة القانونية، فهي عندما تفسح المجال لكاتب رأي متطرف في أفكاره تكون قد أسهمت في نشر محتوى نابع من قناعات ذلك الشخص بشكل أو بآخر، وإذا لم تلحقها تبعات قانونية من وراء مقال الرأي فهي مطالبة مهنيًا باختيار كتّابها، وتخصيص مدقّقي معلومات لفحص المحتوى، كما يجب عليها تنظيم عقود واضحة تفصّل حجم مسؤوليتها وحجم مسؤولية الكاتب، وكذلك نوع الخدمة التي تريدها منه.

قد يجادل البعض في أن بعض المعايير هي نوع من تقييد الحرية، لكن يمكن تجاوز هذه الجزئية بتضمين نص العقد ما ينص على حق الكاتب في التعبير عن رأيه المدعوم بالخبرة، مع عدم تجاوز القواعد الأخلاقية المنصوص عليها في قوانين ضمنتها ونصت عليها التشريعات الدولية، ومنها الأمم المتحدة ومنظماتها الفرعية، وكذلك مدونات السلوك والمواثيق الأخلاقية للصحف ووسائل الإعلام.

لا تتحمل الوسيلة الإعلامية، في بعض التشريعات، مسؤولية محتوى مقال الرأي من الجهة القانونية، ومثال هذا ما ورد في بيان "محكمة العدل التابعة للاتحاد الأوروبي"، لوكسمبورج، "رقم 99/21" الصادر في 10 من حزيران 2021، بخصوص "الحكم في القضية C-65/20" المتعلقة بمقال رأي في صحيفة "Kronen-Zeitung" النمساوية.

نشرت الصحيفة، في 31 من تشرين الثاني 2016، مقالًا حول فوائد ضمادات الفجل المبشور في "تخفيف آلام الروماتيزم"، بتوقيع أحد أعضاء إحدى الطوائف الدينية، والذي بصفته خبيرًا في مجال طب الأعشاب، يقدم نصائح مجانية في عمود تنشره الصحيفة يوميًا.

كان الخطأ يتعلق بفترة وضع الضماد، إذ أخطأ كاتب المقال ناصحًا وضعه لمدة ساعتين إلى خمس ساعات، بينما المعلومة الصحيحة هي دقيقتان إلى خمس دقائق.

النصيحة تسببت بتسمم جلدي لإحدى السيدات، ما دفعها لتقديم شكوى أمام المحكمة، مطالبة بالتعويض عن أضرار جسدية لحقت بها.

المحكمة في بيانها أخلت مسؤولية الصحيفة على اعتبار أن الخدمة الطبية والخطأ المتعلق بها ليس من اختصاص الصحيفة، أو "الخصائص المتأصلة للصحيفة المطبوعة" التي تسمح بتقييم عيوب المنتج.

قرار المحكمة وإن أعفى الصحيفة لكنه أبقى على الحق في النظر بالقضية لجهة اختصاص أخرى، معنية بأنظمة تختص في المسائل التعاقدية بشأن عيوب المنتج.

تشريعات أخرى لا تعفي الناشرين قانونيًا، وقد تفرض عليهم عقوبات تصل حدّ السجن، ومثاله قرار محكمة إيطالية، في 17 من كانون الأول 2004، نص على سجن مدير صحيفة "Il Giornale" الإيطالية لمدة أربعة أشهر مع وقف التنفيذ، بتهمة التشهير على خلفية مقال رأي كتبه أحد أعضاء مجلس الشيوخ الإيطالي في الصحيفة، على الرغم من اتهام الحكم بأنه يخالف اتفاقية أوروبية تضمن حرية التعبير.

المثالان السابقان لمسؤولية الصحافة عن مضمون مقالات الرأي، ليس الهدف منه الدعوة للحدّ من الحريات، أو تكبيل عمل الصحافة، بل علينا أن نطالب دائمًا بالمزيد من الحصانة للصحافة المسؤولة، والحفاظ على مساحة واسعة من الحرية كي تقوم بدورها الأخلاقي، لكن في ذات الوقت، يفتح هذا المقال باب النقاش في مسألة مقال الرأي والإجراءات التي يجب أن تتبعها وسائل الإعلام لضمان عدم استخدام صفحاتها لتمرير أفكار "خبيثة" محتملة، أو إثارة الرأي العام بصورة لأغراض "انتهازية"، أو التسبب بالضرر للجمهور أو جزء منه، أو للجهة الناشرة.. وللحديث بقية.

كيلا يكون العمل التطوعي وسيلة للإثراء غير المشروع

غزوان قرنفل

لا يمكن الزعم، أو الجزم ابتداء، أن كل الأعمال التطوعية التي تقوم بها جمعيات وفرق ومؤسسات نشأت ونهضت بأعمالها خلال سنوات الصراع السوري على أنها إحدى أدوات الإثراء غير المشروع، ولا وصمها بمغارات وكهوف اللصوصية والكسب غير المشروع.

بنفس القدر الذي لا يمكن الزعم أو الجزم بخلاف ذلك أيضًا، فهناك من الفرق والمنظمات ما تم تأسيسه حقًا ليكون وسيلة للثراء والتكسب لا أكثر، وما يؤشر إلى ذلك ليس فقط الثراء المفاجئ لمديريها الذي ليس له تأصيل لمصدره، بل أيضًا آليات تكوينها وعملها البعيد عن الشفافية، والإفصاح عن مصادر تمويلها وكيفية إدارة هذا التمويل وتوظيفه في خدمة القضية، التي آل فريق إدارتها على نفسه حمل عبئها أو جزء منه، هو مؤشر آخر يستدل به على ذلك.

من المهم بداية أن نفهم أن العمل التطوعي ليس عملًا لمن لا عمل له، بل هو جهد يبذله المتطوع الذي يخصص بعضًا من وقته خارج أوقات عمله لأدائه وبلا أجر، اللهم إلا نفقات متواضعة تصرف للمتطوع لأداء العمل التطوعي ضمن الأوقات التي خصصها لذلك الجهد التطوعي لا يحتمل حاله المالي أن يؤديها منه، كأجور السفر والإقامة في المكان الذي يقتضيه أداء العمل المنوط به فقط والمتطوع لأدائه.

وعلى هذا يمكننا القول إن العمل التطوعي هو تلك الفعاليات والأنشطة التي يقوم بها الأفراد دون مقابل مادي بهدف تقديم العون والمساعدة، أيًا كان شكل وطبيعة تلك المساعدة، لأفراد أو مجموعات بشرية أو مؤسسات ومنظمات تؤدي وظيفة مجتمعية تهدف للارتقاء بواقع هؤلاء أو حمايتهم.

فالطبيب الذي يخصص بضع ساعات من يومه لعلاج المرضى والتخفيف من أوجاعهم دون مقابل هو متطوع، ورجل القانون الذي يخصص بعضًا من وقته لتقديم المشورة القانونية مجانًا لفرد أو فئة من الناس تحتاج إليها هو متطوع، وكذلك المدرّس والمهندس وكل صاحب مهنة أو حرفة فهو متطوع بالعلم أو الجهد والوقت الذي يخصصه لمجتمعه طالما أنه يقدمه دون مقابل مادي، أما خلاف ذلك فهو ليس عملًا تطوعيًا بل عمل وظيفي، طالما يتقاضى الشخص عليه أجرًا، وهو ما يرتب عليه في هذه الحالة مسؤوليات والتزامات مغايرة، لأنه في تلك الحالة يكون ملزمًا بتخصيص وقته بالكامل لهذا العمل الوظيفي وملزمًا بأداء هذا العمل بالمستوى الذي توجبه مسؤولياته الوظيفية، طالما أنه يتقاضى أجرًا عادلًا عن هذا العمل، وهو ما يخضعه للمساءلة إذا ما تهاون في أداء ما هو منوط به من مهام، وكل قول خلاف هذا المعنى هو محض تدليس على الناس لا أكثر.

لا يكفي أن تنشر وتعلن عن مواردك وإنفاقاتك لتكون شفافًا، فالموارد يجب بيان مصدرها للتثبت من مشروعيتها، وبيان المشروع أو البرنامج الذي ستنفق فيه وتكلفته التقديرية والمدة المقرر تنفيذه فيها، أما الإنفاقات فيجب أن تكون مفصّلة ومرشّدة وموثّقة وفي مكانها الصحيح، وكذلك النفقات التشغيلية كأجور السفر والتنقل ورواتب الموظفين وإنفاقات المكتب، يجب أن تكون بيّنة وواضحة تفصيليًا وموثّقة بالفواتير والإيصالات، حتى تتثبت الجهات أو المؤسسات أو الأفراد الداعمة من أن أموالها لا تذهب هدرًا ولا هباء ولا مبالغة بالإنفاقات أو الأجور أو الرواتب، وأن تلك الأموال يتم توظيفها بشكل صحيح في خدمة البرنامج الذي قررت تمويله والتبرع له.

أما أن تثري فجأة ويصير لديك بيت، أو بيوت، في عمارات أو أبراج تبلغ قيمتها الملايين، أو يصير لديك سيارة وربما أكثر، أو رصيد متخم في أحد المصارف، دون أن تكون لديك ثروة ومال في بلدك أو رصيدك قبل انخراطك في هذا العمل، فذلك تمامًا هو الإثراء غير المشروع، وهو التكسب والاتجار بقضايا المجتمع واحتياجاته، لأنه من غير المتصور أن يتمكن الموظف من شراء ذلك إلا إذا بلغ "راتبه" مبلغًا كبيرًا وفوق ما هو معتاد، وهذا أيضًا يمكن تصنيفه كنهب منظم وغير مشروع، لأن المبالغة في الأجور والرواتب هو نهب للموارد بغير حق.

وحتى لا تكون، كمدير لجمعية أو فريق تطوعي، محل شبهات واتهامات، يمكنك إطلاع العامة على ما تملك فور تبوئك تلك المسؤولية، مع الوثائق مثل كشف حساب مصرفي أو بيان قيد عقاري أو بيان لصحيفة ملكية سيارة يسبق تاريخها تاريخ تسلّم مسؤولياتك، وبيان ما طرأ على تلك الممتلكات وما أضيف إليها فور انتهاء هذا العمل، وبيان مصدر أي إضافات جديدة على تلك الممتلكات. ويتعين أن يكون ذلك النهج سنّة متبعة وملزمة لكل من يناط به أمر مسؤولية إدارة أموال خصصت للنفع العام، سواء في مؤسسة حكومية أو منظمة مجتمع مدني أو فريق تطوعي أو مؤسسة إنسانية.

ولكيلا تكون تلك المؤسسات جسر عبور نحو الكسب غير المشروع أو الإثراء بلا سبب، فإن من موجبات عملها أيضًا أن تعلن عن أموالها ومصادر تلك الأموال للعامة، والوجهة والبرامج التي ستستخدم بها وما قد يضاف إليها خلال مسيرة العمل من متبرعين أو ممولين جدد، ثم ومع انتهاء هذا العمل يتعين أن تكرر المكاشفة للجمهور والرأي العام والجهات المانحة أيضًا بنشر تقرير مفصل عن الأعمال المنجزة والتكاليف والنفقات التي صُرفت لها والرواتب والأجور المؤداة للموظفين، والمبالغ المنفقة للمتطوعين بالاسم والتاريخ، مقرونة بأوامر صرف وإيصالات تسلّم وقبض، مشفوعًا بتقرير من شركات محاسبة دولية معروفة يصدق على ذلك. أما الاكتفاء بالقول: "بلغت مواردنا عدة ملايين أنفقنا منها عدة ملايين وبقي في رصيدنا كذا"، فهذه ليست شفافية ولا مكاشفة بقدر ما هي عملية احتيال موصوفة على الجمهور، الذي يملك كل الحق بالشك والاتهام عندما يرى ملامح الثراء على المنخرطين في هذا الفضاء العام دون بيان مصدر هذا الثراء وما إذا كان ثراء أصيلًا لدى الإنسان أو طارئًا عليه.

بصرف النظر عما قيل إنه حديث عن الرسول الكريم أو مجرد حكمة متداولة "رحم الله امرأ جبّ الغيبة عن نفسه"، فإن جوهر القول يبقى صحيحًا وحريًا بالاتباع.

سياسات تدفع للهجرة

حرب تكبّل قمح الحسكة

عنب بلدي
ملف العدد 654
الأحد 01 أيلول 2024

إعداد:
جنى العيسى
علي درويش
خالد الجرعتلي

أشخاص يخمدون حريقًا في حقل زراعي ببلدة القحطانية بريف الحسكة – 10 من حزيران 2019 (AFP)

يضطر عدد من مزارعي محصول القمح في محافظة الحسكة شمال شرقي سوريا إلى هجرة مهنتهم، مدفوعين بعدة عوامل، منها يتعلق بتكاليف المحصول التي لم تعد تتناسب خلال السنوات الماضية مع أسعار المبيع التي تحددها مختلف الجهات المسيطرة، إضافة إلى عوامل بيئية تتمثل بنشوب حرائق على مساحات واسعة تلتهم محصولهم، ما يجبرهم على التوجه نحو زراعات أقل تكلفة.
تسلّط عنب بلدي الضوء على مشكلات فلاحي القمح في محافظة الحسكة، والأسباب التي دفعتهم إلى هجرة الزراعة، وخياراتهم في هذا السياق، فضلًا عن أثر ذلك على الأمن الغذائي في سوريا ككل.

هجرة الألفية..

عوامل أسهمت بتراجع الزراعة

أسهمت العديد من العوامل بهجرة الفلاحين أراضيهم في منطقة الجزيرة السورية شمال شرقي سوريا وخاصة محافظة الحسكة، منها ما هو طبيعي كالعوامل البيئية والمناخية، وآخر بسبب عدم الكفاءة الحكومية في إدارة هذا الملف، بل ضاعفت الإجراءات الحكومية من الآثار السلبية.
هذه العوامل استمرت لعقود سبقت الثورة السورية، لكن بعد العام 2011، ظهرت أسباب أخرى فاقمت من مشكلات الفلاحين، كعدم الاستقرار السياسي، وتبدل القوى المسيطرة والمعارك العسكرية والنزوح.
الخسائر لم تتوقف عند هذا الحد، فالأراضي الزراعية فقدت جزءًا من اليد العاملة الشابة نتيجة الهجرة أو التجنيد أو الموت، وخسرت أيضًا الخبرات والكوادر التقنية التي تحتاج إلى وقت طويل لترميم النقص الحاصل.

300 ألف شخص تركوا أراضيهم

في دراسة لمنظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (فاو) بعنوان "الأغذية والزراعة- الهجرة والزراعة والتنمية"، نشرت في عام 2018، تناولت في الصفحة الـ71 أثر سياسات تدخل النظام السوري في تدهور الموارد الطبيعية، وذكرت أنه لعب دورًا سلبيًا كبيرًا في ذلك.
وأوضحت الدراسة أثر سياسات النظام بتدهور المحاصيل الزراعية بعدة عوامل هي:
-1 شجّع زراعة الحبوب على حساب المراعي، ما أدى إلى امتداد المحاصيل الزراعية إلى المناطق القاحلة وشبه القاحلة، التي لا يتجاوز معدل هطول الأمطار فيها 200 ملمتر سنويًا.
-2 التركيز والتوجه إلى المحاصيل كثيفة الري (القطن والقمح) أدى إلى انهيار مستويات المياه الجوفية، وقلّص بشكل كبير من قدرة المزارعين على التكيف عندما تعرض الشرق الأدنى للجفاف الشديد في الفترة بين 2007 و2009.
-3 ما زاد من الأوضاع سوءًا في فترة الجفاف إيقاف الحكومة عام 2008 دعمها للمازوت، وهو الوقود الرئيس المستخدم في الري، ورفعت سعره ثلاثة أضعاف، من 8 إلى 25 ليرة سورية (0.14 إلى 0.53 دولار أمريكي)، أسفر ذلك عن ارتفاع الأسعار بين عشية وضحاها بنسبة 300%.
كان للجفاف أثر كبير على المزارعين في سوريا بسبب ما رافقه من إجراءات حكومية سابقة ومتزامنة مع الجفاف، لكن كان للجفاف نفسه "آثار ضئيلة على بلدان أخرى في المنطقة"، بحسب "فاو".
وكل ذلك أدى إلى نزوح حوالي 300 ألف شخص في سوريا من المناطق الريفية إلى المدن، وبلغت نسبة هجرة الأهالي من قرى الحسكة ودير الزور بين 60 و70%.

السياسات عامل بارز

في دراسة لمركز "حرمون للدراسات المعاصرة" بعنوان" الزراعة سلة الغذاء السورية من التراجع إلى الكارثة"، نشرت عام 2017، ذكرت أيضًا أن الجفاف حمل مسؤولية ما حصل بين 2006 و2008 وصولًا إلى 2011، لكن "الحقيقة أن الجفاف لا يتحمل سوى جزء يسير" مما حصل .
والجزء الأكبر من المسؤولية، بحسب الدراسة، يعود إلى طبيعة السياسات المتبعة وشكلها والتوجه الاقتصادي العام، وتجزئة الملكية بحسب قوانين الإرث السورية التي أسهمت في تفتت الملكية وجعل الحيازات صغيرة وغير مجدية للزراعة في كثير من المناطق.
يضاف إليها طبيعة علاقة المؤسسات البيروقراطية بالفلاحين، من ناحية الحصول على البذور والأسمدة والأدوية الزراعية وآليات تسلّم المحصولات وتصنيفها.
الباحث في الاقتصاد السياسي يحيى السيد عمر، يرى أن تدهور القطاع الزراعي بدأ منذ عام 2000 وليس في 2006 كما يعتقد البعض.
وقال السيد عمر في مقال له، إن تطبيق سياسة السوق الاجتماعي سببت "لبرلة" الاقتصاد السوري بسرعة ودون تمهيد، ما أدى إلى انخفاض دور الإنتاج المادي وارتفاع سوق الخدمات، وهذا الأمر انسحب على الإنتاج الزراعي.
وانعكس تراجع الاهتمام الحكومي بالزراعة بعدة قرارات في فترة الجفاف التي تطلبت إجراءات حكومية استثنائية، إلا أن الحكومة اتخذت جملة قرارات سلبية.

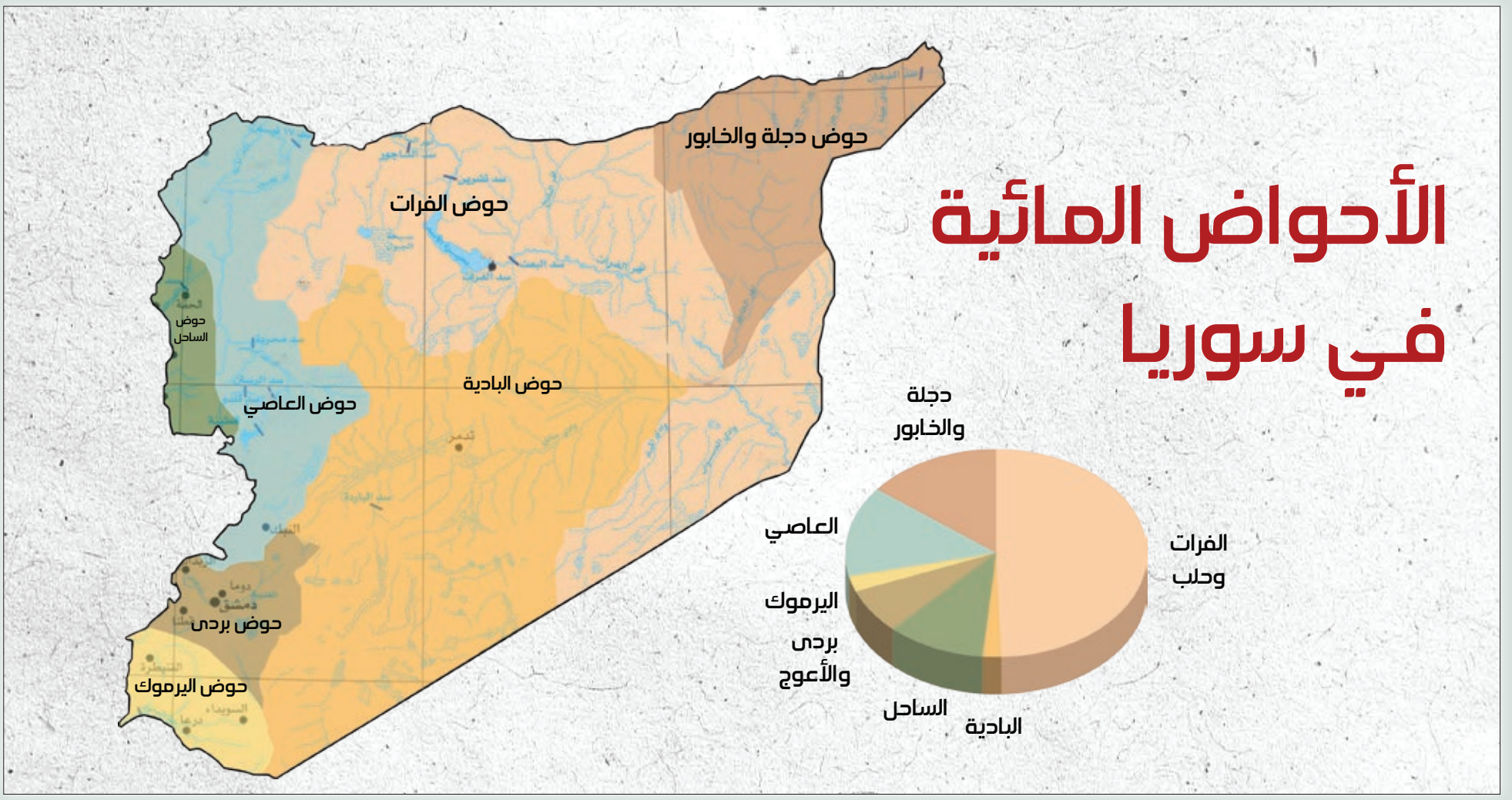

عمال يحملون كيسًا من التبن لتحميله على شاحنة في أحد الحقول بريف القامشلي شمال شرقي سوريا – 30 من حزيران 2022 (رويترز)

مشكلات بالجملة

بعد 2011.. الهجرة تتواصل

> المشكلة برأيي ليست في الأمن الغذائي، بقدر ما هي في إدارة الأمن الغذائي.
> من له مصلحة في محاربة الفلاحين بزراعتهم، ومن اتخذ قرارات كهذه منفرة للفلاحين، ودفعهم نحو ترك الأراضي والعدول عن زراعة القمح، ألم يكن يعرف هذه النتائج؟
> معظم المشكلات التي بات السوريون يعانون منها تأتي بسبب من يدير الموارد ويصدر القرارات الاقتصادية السيئة.
>
> مناف قومان
> باحث اقتصادي في مركز "عمران للدراسات"

تأثرت محافظة الحسكة كغيرها من المحافظات السورية بالحالة الأمنية والعسكرية خاصة بعد 2012، الذي شهد تبدل السيطرة العسكرية لمصلحة أحزاب كردية بزعامة حزب "الاتحاد الديمقراطي" (PYD)، بينما بقيت مربعات أمنية في مدينتي الحسكة والقامشلي بيد النظام السوري،
شكّل "الاتحاد الديمقراطي" نواة "الإدارة الذاتية الديمقراطية المؤقتة" في تشرين الثاني 2013، ثم تأسست "الإدارة الذاتية" مطلع العام 2014.
أصبحت بعدها "الإدارة الذاتية" هي المتحكم الإداري الفعلي، وزادت من تحكمها في المنطقة إداريًا وعسكريًا واقتصاديًا بعد القضاء على تنظيم "الدولة الإسلامية" في سوريا، الذي كان آخر وجود له ضمن القرى أو المدن أو البلدات السورية في آذار 2019، أي أن المنطقة شهدت نوعًا من عدم الاستقرار السياسي، وتبدل القوى المسيطرة والمعارك العسكرية والنزوح.
تبع كل ذلك عدم اتخاذ سلطات الأمر الواقع الحلول الفعالة، وأخيرًا فترة الجفاف خلال الأعوام 2020 و2021 و2022، وما تخللها من حرائق أرهقت كاهل المزارعين بعد كل ما عانوه.
وبسبب الجفاف انخفض الإنتاج الزراعي في شمال شرقي سوريا 80% عام 2022 مقارنة بموسم 2020، قبل بدء الجفاف، بحسب ما نقله موقع "المونيتور" الأمريكي عن منظمة "Mercy Corps" المتخصصة بالإغاثة بعد الكوارث وإدارة آثار الصراع وتغيير المناخ.
أما في الأعوام السابقة، فبلغ مثلًا إنتاج القمح عام 2011 حوالي 3.85 مليون طن مع وسطي استهلاك محلي 2.5 مليون طن، مما أتاح فائضًا للتصدير يقدّر بـ1.35 مليون طن، في عام 2018 انخفض بشكل حاد ليصل إلى 1.2 مليون طن أي ما يغطي أقل من نصف الطلب المحلي، بحسب تقرير لمنظمة "IM-PACT" للأبحاث والتنمية في المجتمع المدني.
الحسكة والرقة من أهم مناطق زراعة القمح في سوريا، بلغ إنتاجهما عام 2011 حوالي 1.76 مليون طن أي 45% من إجمالي الإنتاج في سوريا، لينخفض عام 2018 إلى حدود نصف مليون طن بنسبة 42% من الإجمالي، وبمعدل انخفاض بلغ 71%.
وفي عام 2020، ارتفع الإنتاج في هاتين المحافظتين مع تحسن موسم الأمطار ليصل إلى حوالي 1.1 مليون طن مع ارتفاع إنتاج القمح في إجمالي المناطق السورية إلى2.7 مليون طن.

مزارعون: التكاليف تقلص الإنتاج

محمد الخضير، مزارع من ريف القامشلي، يملك 60 دونمًا يزرعها عادة بالقمح في شرق الخابور، قال لعنب بلدي، إن مساحات الأراضي المزروعة بالقمح تراجعت في المنطقة بشكل كبير، إذ قلّ الإنتاج إلى نحو نصف المعتاد قبل 2011.
وأوضح محمد أن تراجع الإنتاج له عدة أسباب، أبرزها تكاليف الزراعة من مياه أو محروقات أو أسمدة، ما دفع بعض المزارعين لزراعات أخرى أقل تكلفة، كالبطيخ أو الكمون أو حتى زراعة القمح البعلي بدلًا من المروي.

حامد سلطان، مزارع يملك أرضًا زراعية شرق الخابور، أشار أيضًا إلى أن تراجع المساحات المزروعة بالقمح يعود إلى عدم التفات الجهات المعنية من قبل "هيئة الزراعة" لدعم الفلاحين، فضلًا عن انخفاض منسوب المياه في نهر الخابور إلى جانب الجفاف، ما دفع الفلاحين نحو النباتات العطرية كالكمون وحبة البركة وغيرهما من الزراعات التي لا تحتاج إلى تكاليف كبيرة أو يد عاملة.
وحول الحرائق التي تستهدف محصول القمح وانتشارها بشكل واسع خلال السنوات الماضية، اتفق المزارعان محمد الخضير وحامد سلطان على أن بعض الحرائق كانت مفتعلة، بعضها بدوافع كيدية من قبل أبناء المنطقة أنفسهم.

سياسات تفاقم المشكلة

سياسات "الإدارة الذاتية" في إدارة الملف الزراعي، جعلت الزراعة تتراجع "بدرجات مخيفة"، بدءًا من عدم ثبات السعر، ومخاوف المجتمع المحلي من الشراء بالعملة السورية، مقابل بيع الأسمدة والمواد الضرورية للزراعة بالدولار، وصولًا إلى عدم تمكن المزارعين من زراعة القطن، بحسب دراسة لمركز "حرمون للدراسات المعاصرة".
تحدث مزارعون في محافظة الحسكة لعنب بلدي في وقت سابق عن مجموعة من المشكلات والتحديات الموسمية التي يواجهونها خلال السنوات الأخيرة، دفعت بعضهم للتفكير بالعدول عن الزراعة مؤقتًا.
من هذه المشكلات، ارتفاع أسعار الحراثة، وعدم وجود آلية تنظم أجورها وتحدّ من استغلال أصحاب الجرارات للفلاحين، بذريعة تدهور قيمة الليرة السورية وغلاء المحروقات وقطع الغيار وغيرها من الأسباب.
بالمقابل، ذكر أصحاب جرارات وأدوات زراعية ممن التقتهم عنب بلدي، أن رفع أجرة الفلاحة سببه الجهات المعنية المسؤولة عن توفير ما يلزم من محروقات وغيرها لأصحاب الجرارات بأسعار "مدعومة" لتكون العملية مجدية لكلا الطرفين (المزارع وأصحاب الجرارات والآليات الزراعية).
على العكس، ترفع "الإدارة الذاتية" سعر المحروقات بشكل دوري، دون أن تراعي تأثيره على الفلاحين، ما يؤدي إلى رفع جميع التكاليف الزراعية على الفلاح، وهو ما قوبل باحتجاجات في مناطق سيطرتها.
ومن المشكلات الأخرى، تأخر هيئة الزراعة التابعة لـ"الإدارة الذاتية" في دفع المستحقات من قيمة المحاصيل الموردة لعشرات المزارعين.
في موسم 2024، تأخرت "الإدارة الذاتية" بتسعير المحاصيل الزراعية رغم الموسم الوفير الذي كان يرجو فيه الفلاحون تعويض خسارتهم نتيجة الجفاف في السنوات السابقة، ما عرض المزارعين لاستغلال تجار الحبوب من القمح والشعير.
ولاقى التسعير لاحقًا اعتراضًا من قبل الفلاحين، واعتبروه ظالمًا ولا يتناسب مع التكاليف.
أيضًا يواجه مزارعو محافظة الحسكة تحديات عديدة في التجهيز للمواسم الزراعية، في ظل الخسائر التي يمنى بها الفلاحون خاصة أصحاب الزراعات البعلية، الذين تعرضوا لخسائر فادحة وديون استنفدت "مدخراتهم من الحبوب والأموال" المخصصة للزراعة.
وتضع "مؤسسة إكثار البذار" التابعة لـ"الإدارة الذاتية" شروطًا "صعبة" لقبول التعاقد مع المزارعين، وتزويدهم بالبذار "دينًا" بسعر مدعوم يبلغ 2300 ليرة لكل كيلوغرام، مع 200 كيلوغرام من السماد للهكتار الواحد.
تُمنح العقود للمزارعين الذين لديهم آبار زراعية "حصرًا"، وبسندات كفالة وكفلاء من المتعاقدين ورخصة زراعة مسبقة من "مديرية الزراعة"، ومن الصعب أن يحصل المزارعون الذي يعتمدون على مياه الأمطار في ري محاصيلهم (زراعة بعلية) على عقود "مؤسسة إكثار البذار".
وزاد من صعوبة الوضع منع "هيئة الزراعة والري" المزارعين من حفر الآبار الزراعية السطحية والعميقة في مناطق سيطرتها، اعتبارًا من 1 من تشرين الثاني 2022، تحت طائلة "المساءلة القانونية وحجز الحفارة" بحجة "الحفاظ على مخزون المياه الجوفية".

للتلوث والحرائق والمياه نصيب

يضاف إلى كل تلك العوامل، الثلوث النفطي للتربة، إذ يعتبر التلوث النفطي في مناطق الجزيرة السورية "أحد العوامل الأساسية لتدهور خصوبة التربة"، بحسب دراسة لـ"المجلة السورية للبحوث الزراعية" منشورة عام 2022.
والتهمت الحرائق، خاصة عامي 2019 و2020، آلاف الدونمات من الأراضي الزراعية قبيل حصدها.
مديرية الأرصاد الجوية حذرت حينها من نشوب المزيد من الحرائق بسبب تأثر البلاد بمرتفع جوي، فارتفاع درجات الحرارة وانخفاض مستوى الرطوبة يسببان حرائق وخاصة مع اقتراب مواسم الحصاد.
وبحسب ما نقلته منظمة "سوريون من أجل الحقيقة والعدالة" عن مسؤول هيئة الاقتصاد والزراعة في المجلس التنفيذي التابع لـ"الإدارة الذاتية" في حزيران 2019، سلمان بارودو، فإن الحرائق التهمت أكثر من 450 ألف دونم من الأراضي المزروعة بالقمح في الفترة بين 20 من أيار و14 من حزيران 2019، في مناطق سيطرة "الإدارة الذاتية".
تبادلت الأطراف الاتهامات بافتعال الحرائق في الحسكة، فـ"الإدارة الذاتية" اتهمت تركيا بقصف متعمد للحقول، كما اتهمت النظام أيضًا بافتعالها كونه منافسًا لها في تسلّم مردود القمح.
فيما نقلت وكالة الأنباء السورية الرسمية (سانا) عن فلاحين أن عناصر "قسد" هم من أشعلوا الحرائق "ضمن سياسة التضييق التي تتبعها هذه الميليشيات على الأهالي لدفعهم إلى العمل والتعامل معها ومنعهم من تسليم محصولهم للمراكز الحكومية".
أيضًا، تبنى تنظيم "الدولة الإسلامية" إحراق أراضٍ زراعية في سوريا والعراق، مبررًا ذلك بأنها تتبع لمن يصفهم بـ"المرتدين".
تراجع منسوب المياه كان له تأثيره على الزراعة في الحسكة، وبشكل خاص نهر الخابور، الذي ينبع من الأراضي التركية، وروافده كنهر جقجق ونهر جراح، ولم يقتصر على الحسكة فقط بل شمل كل منطقة الجزيرة، نتيجة تراجع مستوى منسوب نهر الفرات أيضًا.
الحسكة تضم 10 سدود موزعة بشكل رئيس على نهري الخابور ودجلة وفروعه، هي "الحسكة الجنوبي" (الباسل) و"الحسكة الشرقي" و"الجوادية" و"معشوق" و"باب الحديد" و"المنصورة" و"الحاكمية" و"الجراحي" و"الجوادية" و"سفان".
"الإدارة الذاتية" تحمل باستمرار مسؤولية نقص مياه السدود والأنهار لتركيا، خصوصًا نهر الفرات كون الأنهار تنبع من أراضيها، وتصفه بـ"الإغلاق المتعمد" لمياه الأنهار، ما يؤدي إلى توقف تشغيل سدود في مناطق سيطرتها كسد "تشرين".

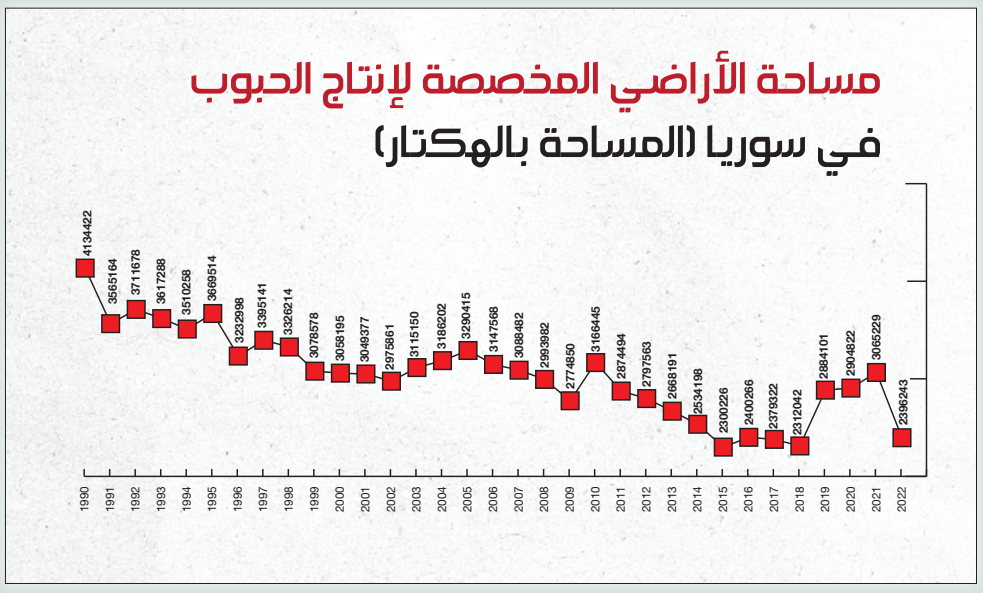

فرص العمل تتأثر.. التجنيد خيار

تمثّل الأرض الزراعية لمجتمع شمال شرقي سوريا قيمة معنوية ومادية، في المنطقة المعروفة بطبيعتها الريفية، لكن سنوات الحرب دفعت المزارعين لفك ارتباطهم بأرضهم مكرهين، ودفعت بعضهم تحت الضغوط المادية والأمنية لبيع أجزاء منها، أو كلها، أو تحويل اهتمامهم من محصول لطالما داوموا على زراعته على مدى سنوات، لمحصول آخر أكثر ربحًا.

وتباينت آراء المزارعين ممن قابلتهم عنب بلدي ويقطنون شرق نهر الخابور بريف محافظة الحسكة، إذ يرى بعضهم أن الفقر الذي تعاني منه المنطقة هو جزء من حالة أعم تعاني منها المحافظات السورية، في حين يميل آخرون لتحميل المسؤولية لـ"الإدارة الذاتية" وجناحها العسكري "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد) التي تسيطر على المنطقة، وتتحكم بمفاصل حياة الناس فيها.

وفي بلدة تل حميس الواقعة شرق نهر الخابور، وهي بلدة يعيش معظم سكانها من مردودهم السنوي من المحاصيل الزراعية، يعيش صلاح، وهو مزارع سابق، ومجند حالي في "قسد"، قال لعنب بلدي، إنه دُفع لترك الزراعة التي توارثها أفراد عائلته منذ سنوات، بسبب نقص المياه، وتراجع الاهتمام بالزراعة في المنطقة، والتوجه للعمل في القطاع العسكري، واعتماده كمصدر دخل له.

وأضاف لعنب بلدي أنه انخرط في العمل العسكري منذ أكثر من عامين مع أشقائه بعد الخسائر التي تكبدوها خلال موسم القمح عام 2022، وموسم القطن الذي تبعه بسبب نقص المياه.

واختار صلاح وأشقاؤه العمل في الجانب العسكري بسبب قلة فرص العمل، إذ لا يوجد ما يفعله أبناء تل حميس سوى الزراعة، وفق تعبيره، ومع غيابها، لم يكن أمامهم سوى التطوع لدى "قسد" بموجب عقد مدته عامان، وبراتب 3.5 مليون ليرة سورية لكل منهم.

سياسة متعمدة أم تراكم

في الوقت الذي يعتقد فيه بعض أبناء المنطقة، أن "الإدارة الذاتية" تجبرهم على ترك أراضيهم الزراعية عبر تجاهل تقديم الخدمات، أرجع آخرون، وعاملون في قطاع الزراعة، الأسباب إلى الجفاف، وأزمات نقص المياه التي تضرب المنطقة بين الحين والآخر.

المهندس الزراعي طارق العايد، وهو رئيس وحدة الإرشاد الزراعي في الحسكة، قال لعنب بلدي، إن جفاف نهر الخابور انعكس بشكل سلبي على المزارعين بين ضفتي النهر.

وأضاف أن قلة المياه تؤدي إلى انخفاض في إنتاجية المحاصيل وجودتها، ويواجه المزارعون هناك صعوبة في تأمين المياه لري أراضيهم، ما يضطرهم لاستخدام طرق بديلة قد تكون مكلفة أو غير فعالة مثل حفر الآبار التي تكون عادة مخالفة للقانون المحلي.

المهندس أشار إلى أن خطورة جفاف الخابور خلال سنوات الجفاف المتعاقبة تكمن بتدهور التربة وزيادة ملوحتها، ما يقلل من خصوبتها.

وإلى جانب المحاصيل الاستراتيجية كالقمح والشعير والقطن، كانت هناك بساتين للأشجار المثمرة ومساحات واسعة تزرع بالخضار على ضفتي الخابور، لكن عدد هذه الزراعات تناقص بشكل كبير خلال السنوات القليلة الماضية، إذ يكاد تنوع الزراعة يختفي بالمنطقة، بسبب انخفاض منسوب المياه بنهر الخابور.

المهندس، الذي يقيم في محافظة الحسكة، قال لعنب بلدي، إن المزارع لا يعاني فقط من مسألة الجفاف بل من تدني الدعم بالمحروقات، وعدم توفرها في الكثير من الأحيان، فمياه النهر تحتاج أيضًا إلى محركات ومضخات لنقلها إلى الأراضي المجاورة، وهو غير متوفر مع غياب الدعم بالمحروقات.

واعتبر المزارع أن صعوبة نقل المياه دفعت العديد من المزارعين للتخلي عن فكرة الزراعة كمشروع اقتصادي، بعد الخسائر المتوالية التي تحملوها على مدار السنوات، وغياب أي تشريعات أو خطط لدعم المزارعين على ضفتي الخابور من قبل الجهات ا لمعنية .

الحرائق، والجفاف، ونقص المياه والمحروقات، وتردي الخدمات الزراعية، كلها شكلت عوائق أمام المزارعين، وفق ما قاله المزارع صلاح لعنب بلدي، لكن أبناء المنطقة دائمًا ما ينظرون إلى هذه الحوادث على أنها ممتدة، تهدف لدفعهم نحو ترك أراضيهم.

وتظهر بيانات "البنك الدولي" أن نسبة العاملين بالزراعة في سوريا بلغت في عام 2022 نحو 15.5% من مجمل نسبة العاملين في كل المجالات، بينما كانت عام 2000 تصل إلى 32.89%.

تعويض الخسائر؟

في الوقت الذي تواجه فيه "الإدارة الذاتية" اتهامات من أبناء المنطقة بإهمال القطاع الزراعي عمدًا، اتجهت الأخيرة للحديث عن تحركاتها لتعويض المزارعين، إذ قالت في 26 من آب الماضي، إنها تنوي تعويض المزارعين المتضررين من الحرائق في مناطق سيطرتها، إلى جانب إجراءات في القطاع الزراعي لدعم الفلاحين.

وأعلنت هيئة الزراعة التابعة لـ"الإدارة"، أنها ستعوض المزارعين ببذار القمح مجانًا وحسب الترخيص الزراعي لموسم 2025-2024.

وجاء هذا الإعلان ضمن التوصيات التي صدرت عن الاجتماع السنوي لهيئة الزراعة والري في "الإدارة الذاتية"، وانتهى الاجتماع بعدة مخرجات، أبرزها تحديد مبيع بذار القمح عن طريق مؤسسة إكثار البذار للموسم الزراعي 2025-2024 بمبلغ قدره 225 دولارًا للطن الواحد، إلى جانب شراء محصول القطن من المزارعين للموسم الزراعي الحالي، بناء على تسعيرة تحدد مطلع أيلول.

مكاسب لـ"الإدارة"

الباحث المتخصص في شؤون شمال شرقي سوريا بمركز "عمران للدراسات الاستراتيجية" سامر الأحمد، قال لعنب بلدي، إنه قبل سنتين، كان من الممكن النظر إلى الأحداث على أنها متعمدة خصوصًا مع حجم الحرائق التي طالت المحاصيل الزراعية في محافظة الحسكة، لكن لاحقًا، انخفضت هذه الحرائق، في حين بقيت عوامل أخرى مؤثرة.

وأضاف الباحث الذي ينحدر من محافظة الحسكة، أنه لا يمكن النظر إلى القضية على أنها محاولة إفقار للمزارعين، بقدر ما هي بحث عن الفوائد دون النظر إلى وضع المزارعين من قبل سلطات المنطقة (الإدارة الذاتية).

وأشار إلى أن محاولات الاستفادة يمكن ملاحظتها في بعض التفاصيل مثل تحديد سعر القمح خلال موسم العام الحالي.

في أيار الماضي، حددت "هيئة الزراعة والري" في "الإدارة الذاتية" سعر شراء مادة القمح من الفلاحين للموسم الزراعي 2024-2023، ما تسبب باحتجاجات بالمنطقة رفضًا للتسعيرة التي اعتبروها منخفضة.

وبحسب القرار الصادر عن "الهيئة" حينها، بلغ سعر شراء المادة 31 سنتًا للكيلوغرام، ويخضع لنظام الدرجات العادية، في حين حددته العام الماضي بسعر 43 سنتًا للكمية نفسها.

وعلى خلفية سعر القمح، اعتصم مزارعو منطقة عامودا وسط المدينة احتجاجًا على قرار "الإدارة الذاتية" بتحديد تسعيرة القمح، وامتدت الاحتجاجات إلى مدن وقرى أخرى، لكن "الإدارة" لم تتراجع عن قرارها.

ويرى الباحث سامر الأحمد، أن "الإدارة" تحاول تحقيق أكبر قدر من الفائدة، حتى ولو كانت على حساب المزارعين، إذ حصرت بيع المحاصيل بمؤسساتها الزراعية، حتى تتمكن من إعادة بيعها لأطراف أخرى، هي النظام والمعارضة بمعظم الأحيان، بهدف تحقيق مرابح.

ولا يمكن حصر هذه السياسية بمحصول القمح وحسب، وفق الأحمد، إذ اتجه بعض المزارعين لزراعة الكمون خلال العام الماضي، وتمكنوا من تحقيق مكاسب اقتصادية جيدة، وخلال العام الحالي، أعادوا زراعة أرضهم بالموسم نفسه، لكن الأحداث الأمنية التي شهدتها المنطقة دفعت "الإدارة الذاتية" لإغلاق منافذها البرية مع النظام، ما حد من إمكانية تصدير هذه المحاصيل والتجارة بها، وانخفضت مرابح التجار للنصف تقريبًا.

ويرى الباحث سامر الأحمد أن الأزمة التي تشهدها مناطق شمال شرقي سوريا ناتجة عن سياسات اقتصادية تضمن لـ"الإدارة الذاتية" ربحًا بهامش كبير، وسيطرة مركزية عالية على الموارد الاقتصادية كافة .

وأضاف لعنب بلدي أن سياسة "الإدارة الذاتية" الاقتصادية تجاه المزارعين قد تنتج عنها حالة من الإفقار في المنطقة، لكن الحالة الاقتصادية للسكان لا تعتبر إحدى نقاط الاهتمام بالنسبة لسلطات الأمر الواقع في سوريا، ومنها "الإدارة".

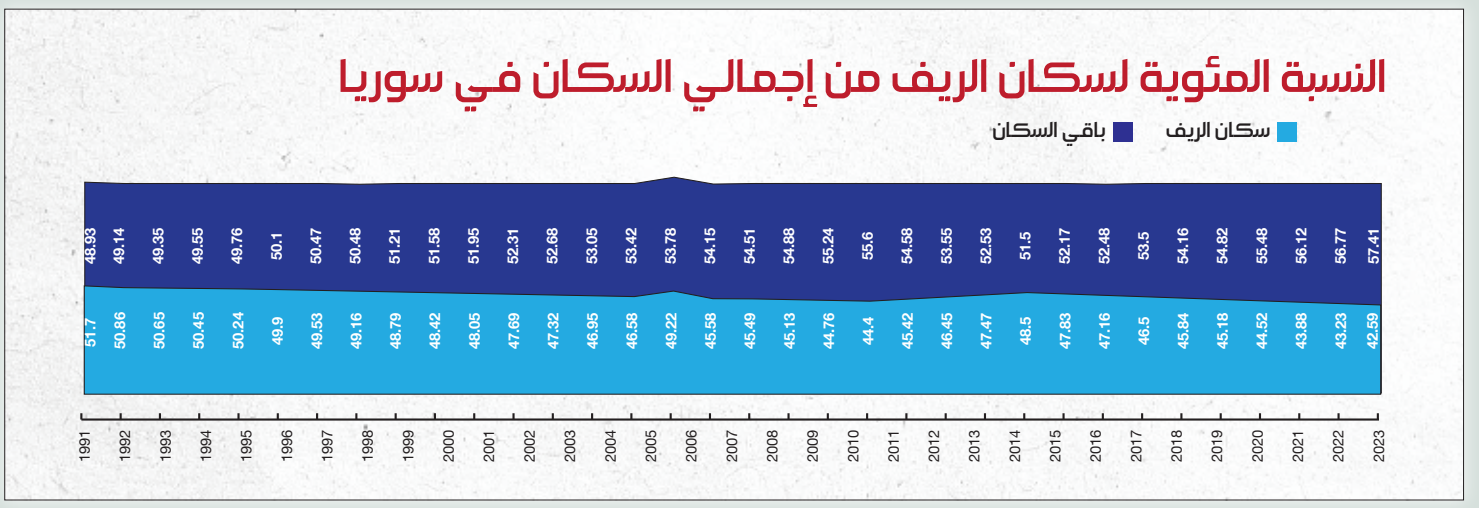

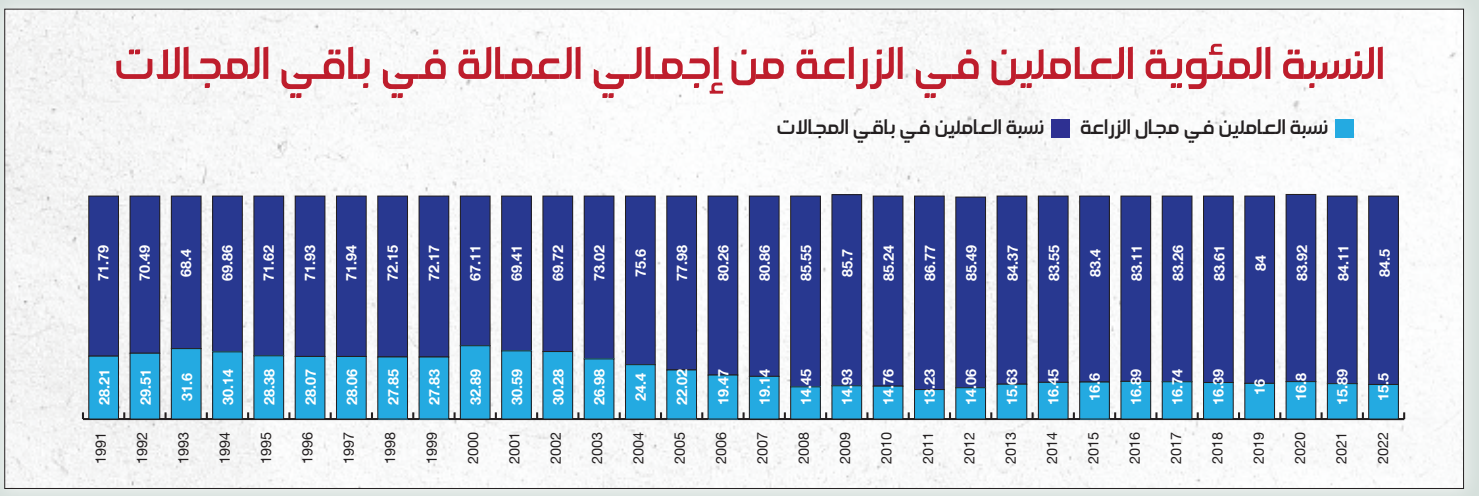

التدخلات قد تنقذ الواقع..

الأمن الغذائي على المحك

تراجع المساحات المزروعة بالقمح واستمرار سياسات الجهات المسيطرة في سوريا من ناحية عدم دعم الفلاحين أو تعويض خسائرهم بالشكل الذي يضمن لهم عائدًا ربحيًا جيدًا، يفتحان الباب أمام التساؤلات حول مستقبل الأمن الغذائي للبلاد تأثرًا بهذه الحالة.

تمثل مادة القمح الغذاء الاستراتيجي الأول في السلة السورية، وتدخل فيها عشرات المنتجات الغذائية أبرزها مادة الطحين الذي يصنع الخبز منه.

وبالتالي فإن تناقص المساحات المزروعة للقمح في شمال شرقي سوريا ستكون له آثار سلبية على تناقص مادة الطحين، ويدفع المنطقة وسوريا بالعموم نحو استيرادها بشكل أكبر من الخارج، وهذا يعني الحاجة لمزيد من الدولارات لتمويل الواردات، ويعني أيضًا تراجع قيمة الليرة السورية أمام العملات الأجنبية، وفق ما يرى الباحث الاقتصادي في مركز "عمران للدراسات الاستراتيجية" مناف قومان.

وأضاف قومان، في حديث إلى عنب بلدي، أن الأثر سيطول الأمن الغذائي بشكل مباشر، والنتائج ستكون العام المقبل أو الذي بعده على أبعد تقدير مع تناقص كميات القمح المستلمة من قبل الفلاحين وتناقص المخزون الاستراتيجي.

الدكتور في الاقتصاد الزراعي بجامعة "الزيتونة" الدولية سليم النابلسي، قال لعنب بلدي، إن تراجع المساحات المزروعة بالقمح سيؤدي إلى العديد من المخاطر والإشكاليات، أبرزها تراجع الواقع الزراعي في المنطقة، ما يفرض الحاجة إلى جملة من الإجراءات والمبادرات التي تحسن هذا الواقع والمتعلقة بالتربة والمياه ومدخلات الإنتاج. هذا التراجع الحالي سيؤدي بشكل قطعي إلى تراجع مؤشرات الاكتفاء الذاتي التي يتأثر بها الفقراء والأطفال والنساء والفئات المهمشة في المجتمع، ما سيزيد الحاجة إلى برامج الدعم الغذائي التي تطلقها المنظمات الإنسانية.

ويؤدي الاستمرار في تراجع المحصول دون وجود تدخلات حكومية وأهلية، وفق النابلسي، إلى حدوث ارتفاع في أسعار الخبز والطحين ومشتقاته، وبالتالي حدوث خلل في منظومة الأمن والسلم المجتمعي، وقد تأتي بعد هذه المرحلة المجاعة.

في ظل هذه المعطيات تحتاج المنطقة، بحسب ما أشار إليه الدكتور سليم النابلسي، إلى برامج فعالة لزيادة مساحات الأراضي المزروعة بالقمح كمًا ونوعًا من ناحية الأصناف والكميات، ولا بد هنا من برامج مدعومة من الهيئات الحكومية والمنظمات المحلية والدولية.

وتبرز الحاجة بشكل كبير لدعم مزارعي القمح بأشكاله الكثيرة بدءًا من دعم مستلزمات الإنتاج من جرارات ومحاريث، ومدخلات الإنتاج كالبذار غزيرة الإنتاج المقاومة للأمراض والإصابات والأسمدة، فضلًا عن توفير مياه الري ودعم أسعار المحروقات خاصة للمشاريع التي تعمل على الآبار الارتوازية.

آخر هذه التدخلات الحكومية تتمثل بشراء القمح من المزارعين بأسعار تفضيلية ومدعومة، تضمن استمرارية الفلاحين لسنوات مقبلة عديدة.

آن الأوان في سوريا لإطلاق برنامج أو مشروع أو حتى منظمة متخصصة في التمويل الزراعي، لأن عودة رأس المال بطيئة جدًا في هذا النوع من المحاصيل، ومن خلال مشروع كهذا يجب توجيه السياسات بحسب احتياجات المنطقة ومؤشرات الأمن الغذائي، بحسب الدكتور سليم النابلسي.

خبيران: خطاب يخالف سياسة رفع الدعم وبيع المؤسسات العامة

الأسد يعود إلى "العباءة" الاشتراكية أمام مجلس الشعب

بشار الأسد متحدثًا عن الاشتراكية والدعم خلال كلمته أمام مجلس الشعب- 25 من آب 2024 (رئاسة الجمهورية/ فيس بوك)

عنب بلدي - يامن مغربي

ألقى رئيس النظام السوري، بشار الأسد، خطابًا في مجلس الشعب بدمشق في 25 من آب الماضي، تحدث خلاله عن الاشتراكية، وعدم التخلي عنها في البلاد.

حديث الأسد عن النمط الاقتصادي الذي يشكّل أحد ثلاثة شعارات لحزب "البعث" الحاكم في سوريا (وحدة- حرية- اشتراكية)، يتزامن مع تغييرات فرضها واقع الحرب في البلاد، والأزمة الاقتصادية التي تحيط بها منذ سنوات، بالإضافة إلى التحركات الأخيرة بما يخص التشاركية بين القطاعين العام والخاص، وبيع الأصول المملوكة للدولة لشركات يعود بعضها بشكل مباشر للأسد نفسه، أو لزوجته أسماء الأسد، وكذلك للحلفاء، روسيا وإيران.

الأسد قال في خطابه، إن "الخيارات الصعبة لا تعني الانقلاب على سياساتنا ولا تعني الانقلاب على التزامات الدولة تجاه المواطنين، ونحن لن نخلع عباءتنا الاشتراكية".

منذ وصول حزب "البعث" إلى السلطة بانقلاب عسكري في 1963، اتبع سياسات اشتراكية تفاوتت حدتها وفق الأطراف الحاكمة ضمن الحزب نفسه، حتى وصل حافظ الأسد بانقلاب آخر على رفاق دربه في 1971، وثبّت السياسات الاشتراكية التي اعتمدت عمليًا على دور فاعل للقطاع العام، ولكن دون تطبيق المبدأ بشكل كامل.

الأسد الأب ورغم الشعارات التي تبناها حزبه حول الاشتراكية، بقي على اتصال مع تجار دمشق وحلب والفعاليات الاقتصادية الخاصة، ثم بدأ الواقع الاقتصادي بالتغير مع وصول بشار الأسد إلى سدة الحكم في عام 2000.

لكن الاشتراكية عمليًا لم تأتِ بالتزامن مع وصول "البعث" إلى السلطة فقط، وتشير دراسة نشرها "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" في آذار 2022، إلى أن سوريا تبنت هذا النهج في إدارة شؤونها السياسية والاقتصادية منذ 1963، ضمن ملكية الدولة لوسائل الإنتاج والإدارة والتعاونية الاقتصادية.

تحركات النظام لا توحي بالاشتراكية

عمليًا بدأ بشار الأسد مع وصوله إلى الحكم بالاتجاه لسياسات اقتصادية أكثر انفتاحًا ضمن "اقتصاد السوق الاجتماعي"، عبر السماح بدخول البنوك والمدارس الخاصة، وتحرير بعض أسعار المواد مع الحفاظ على دعم المواد الأساسية كالمحروقات والخبز وغيرهما، أي أن سوريا استمرت ضمن نهج اشتراكي وإن لم يطبق بشكل كامل.

فرض اقتصاد الحرب واقعًا اقتصاديًا جديدًا على النظام السوري، عقب توجيه موارد الدولة للمجهود العسكري، ارتبط بعمليات خصخصة وبيع لمشاريع اقتصادية تعود ملكيتها للدولة، سواء عبر تأجير الموانئ واستخراج الفوسفات، وكذلك الاستثمار في مطار "دمشق الدولي".

وترافقت هذه التحركات مع إعلانات مستمرة حول رفع الدعم الحكومي عن شرائح من المواطنين، شمل المحروقات والخبز والغاز المنزلي.

وبالتالي فإن حديث الأسد أمام مجلس الشعب أن سوريا "لم تخلع العباءة الاشتراكية" يأتي مخالفًا للواقع الاقتصادي للبلاد في الظروف الراهنة على الأقل، ويرى الباحث بالاقتصاد الدكتور فراس شعبو في حديثه لعنب بلدي، أن سوريا لم تكن تطبق الاشتراكية بحذافيرها.

ومع وصول الأسد الابن للسلطة، انتقل إلى اقتصاد السوق الاجتماعي، الذي لم يناسب الحرس القديم (المسؤولون في عهد حافظ الأسد) نوعًا ما، لأن بعض الأفراد تقاسموا الكعكة الاقتصادية وتحاصصوا مع الدولة وهو أمر غير مستحب بالنسبة للنظام.

ويرى شعبو أن حديث الأسد عن الاشتراكية يأخذ منحى سياسيًا لا اقتصاديًا، ويعبر عن عودة حزب "البعث" إلى الواجهة من جديد وقيادته للدولة والمجتمع.

وركز الأسد خلال الأعوام الماضية على عودة حزب "البعث" إلى الواجهة السياسية، وأظهر اهتمامًا واضحًا بانتخاباته الداخلية الأخيرة، وأجرى عدة تغييرات في صفوفه.

من جهته، قال الباحث الاقتصادي زكي محشي لعنب بلدي، إن الاقتصاد السوري ليس اشتراكيًا لا قولًا ولا فعلًا، هو "رأس المال عبر المحسوبية" وإعادة التموضع لمصلحتها مع استثمارات كبيرة ريعية لبعض الشخصيات.

التوظيف العام متوقف منذ زمن بعيد ورواتبه قليلة حتى خط الفقر، ويتم تحرير الأسعار بما في ذلك المدعومة منها التي تباع بالسعر "الحر".

سوريا غير قادرة على هذا النمط

تعتمد الاشتراكية من الناحية الاقتصادية على ملكية عامة للدولة التي تسيطر على الموارد الطبيعية والإنتاج، بما في ذلك المؤسسات والآلات والمصانع المنتجة للسلع، مع توفير الدولة لنظام رعاية اجتماعية وشبكات أمان اجتماعي، من الغذاء وحتى الصحة والتعليم.

كما تتخذ الدولة في النظام الاشتراكي جميع القرارات المتعلقة بالإنتاج والتوزيع، في محاولة لتوزيع الثروة الوطنية بمساواة بين أفراد المجتمع الواحد، وتأتي هذه التعريفات ضمن المفهوم الواسع للاشتراكية، الذي يحوي مئات النظريات الاقتصادية والتعريفات المختلفة، وترتبط كذلك بتوجه الدولة نفسه.

وفق التعريف الواسع للاشتراكية، وبمقارنته مع الظروف الاقتصادية للمناطق التي يسيطر عليها النظام السوري اليوم، وبعد حديث بشار الأسد حول الاشتراكية يظهر سؤال: هل سوريا قادرة على هذا النمط من الاقتصاد في الظروف الحالية بما يتضمن توزيع الثروة وزيادة الدعم.

بحسب الباحث زكي محشي، فإن سوريا اليوم سوريا تعيش ضمن "اقتصاد الحرب"، وليست لديها القدرة على أن يكون اقتصادها وفق نهج الاشتراكية الذي يحتاج للدعم وإلى مؤسسات عامة قوية، بينما تضمن خطاب بشار الأسد الأخير خطوات لرفع الدعم، وهو ما تتجه له "الدولة"، فالموازنة لا تكاد تتحمل حتى رواتب الموظفين.

كما أن الخزينة لا تتحمل نتيجة سياسات الهدر والفساد والسرقة وعدم تحمل المسؤولية وما يحصل اليوم هو إعادة توزيع الموارد لمصلحة "رأسمالية المحاسيب"، وحتى في حال أرادوا الخصخصة فهي لا تتم بشكل تدريجي ولن تباع مؤسسات القطاع العام لأنها خاسرة، وفق محشي.

ورغم أن الاشتراكية تفرض على الدولة التوجه لتأمين المواطنين عبر شبكات الدعم الاجتماعي، وتلعب دورًا مهمًا في أساسيات المعيشة اليومية، من التعليم والصحة والسلع الغذائية، فإن خطوات النظام السوري تسير بعكس هذا الأمر، وهو يتجه لسحب يده من الخدمات الأساسية المقدمة.

وفق شعبو، فإن الدولة اليوم تتبع سياسة النأي عن المواطن تمامًا ليغرق وحده، وليست لديها القدرة حتى على تقديم الخدمات الأساسية في البنى التحتية كالكهرباء، هي فقط "بروباغندا إعلامية".

وتابع الباحث أن خطاب الأسد "يمكن اعتباره دون قيمة على الأرض لأن الواقع عكس كلامه تمامًا"، مضيفًا أنه حتى إن أراد الأسد تحويل سوريا لاشتراكية فلا قدرة لديه على القيام بالواجبات المطلوبة منه، وبالتالي لا يمكن أن يُتبع النموذج الاقتصادي الاشتراكي في سوريا خلال الوقت الحالي.

وفق أرقام الأمم المتحدة، يحتاج 15.3 مليون شخص في سوريا إلى مساعدات إنسانية، و85% من الأسر غير قادرة تمامًا أو بشكل كافٍ على تلبية احتياجاتها الأساسية.

الاشتراكية في سوريا

أوضحت دراسة نشرها "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات"، في آذار 2022، أن سوريا تبنّت نهجًا اشتراكيًا في إدارة شؤونها السياسية والاقتصادية منذ عام 1936، وهو نظام يقوم على ملكية الدولة لوسائل الإنتاج والإدارة والتعاونية الاقتصادية.

ومع وصول حافظ الأسد إلى السلطة عام 1970، جرى تخفيف القيود المفروضة على المشاريع الفردية والقطاع الخاص، إلا أن ذلك لم يساعد كثيرًا في تنشيط الدورة الاقتصادية بالبلاد، بسبب الفساد واستمرار بعض القيود البنيوية المثبطة للاستثمار.

وفي ثمانينيات القرن الماضي، وجدت سوريا نفسها معزولة سياسيًا وفي خضم أزمة اقتصادية خانقة، بحسب الدراسة، إذ انخفض فيها نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي بنسبة 22% بين عامي 1982 و1989، كما أسفرت عمليات التأميم الواسعة للمعامل والمصانع والأراضي عن هروب جزء كبير من رأس المال الوطني إلى الخارج، بينما ظهرت طبقة رأسمالية حكومية استفادت من الفساد وغياب الحريات الاقتصادية لتكوين ثروات كبيرة.

وقد أدت هذه العوامل إلى تدهور الوضع المعيشي وارتفاع معدلات الفقر والبطالة، لا سيما في فئة الشباب، وتراجعت القطاعات الصناعية والزراعية وانخفضت مساهمتها في الناتج المحلي الإجمالي إلى مستويات غير مسبوقة.

مع انتهاء الحرب الباردة وتوقف المساعدات الخارجية، طبّقت الحكومة السورية بدءًا من عام 1990 سلسلة من الإصلاحات الاقتصادية، شهد في ظلها الاقتصاد السوري نموًا قويًا طوال التسعينيات، وانعكس ذلك على نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي خلال الفترة بين 2000 و2010، إذ تضاعف متوسط دخل الفرد السوري من قرابة 1200 دولار أمريكي في عام 2000، إلى نحو 2800 دولار في عام 2010.

دولار أمريكي ▲ مبيع 14850 شراء 14700 | يورو ▼ مبيع 16116 شراء 15948 | ليرة تركية ▼ مبيع 460 شراء 454
الذهب 21 ▲ 991.000 الذهب 18 ▲ 850.000 المازوت = 15000 البنزين = 19000 الغاز = 270.000(للجرة) السكر (كغ) = 15000 الأرز (كغ) = 35000

لإعالة أنفسهم أو عائلاتهم

مسنون يعملون بمهن شاقة في سوريا

مسنون يعملون على "البسطات" في اللاذقية - آب 2024 (عنب بلدي/ ليندا علي)

عنب بلدي - ليندا علي

يخرج السبعيني "أبو ليث" من منزله عند السادسة صباحًا كل يوم، للعمل على "تاكسي" استأجرها مقابل مبلغ شهري من أحد أصدقائه، يجوب بها شوارع مدينة اللاذقية، بحثًا عن ركاب لا يجد إلا قلة منهم، فالغالبية امتنعوا عن استخدام "التاكسي" نتيجة ارتفاع الأجور بسبب الارتفاع المتكرر لسعر البنزين.

"أبو ليث" والد لخمسة شبان وشابتين، اثنان من أبنائه يعيشان معه ومع زوجته في منزلهم بضاحية سقوبين، ويعاني من الضغط والسكر، ومع ذلك لا يستطيع ترك عمله، لأن راتبه التقاعدي لا يتجاوز الـ290 ألف ليرة سورية (19 دولارًا أمريكيًا)، وهو مبلغ لا يكفي ثمن دوائه وطعام العائلة.

أكثر ما يقاسيه الرجل السبعيني، حرارة الجو صيفًا والبرد الشديد شتاء، فهو لا يستطيع تشغيل المكيف في السيارة، حتى لا يستهلك المزيد من البنزين مرتفع الثمن.

"أبو ليث" قال إنه يعمل منذ السادسة صباحًا وحتى الثامنة مساء تقريبًا، وفي معظم الأحيان يستمر عمله دون فترة راحة، حيث يأخذ معه طعامه ليتناول غداءه في السيارة، وعلى الرغم من حاجته لقيلولة عند الظهيرة، فإنه يفضّل عدم الذهاب إلى المنزل والعودة للعمل، كي لا يخسر المزيد من البنزين.

ومع ذلك ينجح أحيانًا بأخذ قيلولة صغيرة، حين يبتسم له الحظ بزبون منزله بالقرب من الضاحية التي يعيش بها، فيوصله ثم يذهب إلى منزله ليرتاح قليلًا ويعاود العمل.

أدت الظروف المعيشية القاسية التي يعيشها معظم السوريين إلى استمرار عمل كبار السن الذين لا يجدون فرصة للتقاعد، فالراتب التقاعدي لا يكفي، وغالبية الآباء والأمهات لا يريدون أن يضغطوا على أبنائهم المتزوجين الذين بالكاد يحصلون على قوت يومهم وعائلاتهم.

ويلجأ كبار السن للعمل في جميع أنواع الأعمال التي تتوفر لهم، ويميل غالبيتهم للعمل على "بسطات" بيع الخضراوات أو اللوازم المنزلية وحتى "السكاكر"، حتى إن بعضهم يمارس أعمالًا مجهدة في البناء والعتالة، بينما لا يكفي أجرهم اليومي حتى لقوت يومهم أحيانًا.

تعمل لتأكل

حسنة، عجوز ثمانينية، تعمل في أرضها صغيرة المساحة، التي تبعد عن منزلها بمقدار عشر دقائق مشيًا، إذ تزرع البقدونس وأنواعًا أخرى من الخضراوات الصيفية مثل اليقطين واللوبياء وغيرهما، ولا تعطي الأرض مردودًا كبيرًا، إلا أنها توفر لها طعام يومها، حسب قولها.

تستعين الجدة حسنة بعكازها للوصول إلى أرضها، ومن ثم قطاف الخضراوات صباحًا، وأخذ حاجتها منها، ثم منح الباقي إلى "الدكان" الصغير في قريتها قدرة بريف اللاذقية، ليبيع خضراواتها، وبثمنها تشتري بعض المواد التموينية من أرز وسكر وغيرهما.

لدى حسنة ستة أبناء وبنات، جميعهم متزوجون، اثنان من أبنائها يعيشان بالقرب منها، ويساعدها أبناؤهما أحيانًا في عملها هذا.

قالت السيدة إنها تفضّل أن تحصل على طعامها بنفسها على الرغم من أن أبناءها لا يحبذون ذلك، لكنها طالما تستطيع العمل ولو على العكاز لن تلجأ لأي إنسان آخر، كما أنها تعلم أحوال الحياة وضيقها على أبنائها.

حسنة ترى أنها محظوظة جدًا لعدم معاناتها من أي مرض، باستثناء وجع المفاصل الذي يلازمها خصوصًا في فصل الشتاء، ولا ينفع معه أي دواء أو مسكنات، ولا حل إلا بعملية تركيب مفصل جديد تكلف نحو 70 مليون ليرة سورية، وفق ما أخبرها به الطبيب، وهو مبلغ لا تحلم أن تمتلكه يومًا ما لا هي ولا أبناؤها.

تصبر العجوز على آلامها، وتتابع عملها كما كثير من السوريين، الذين إن لم يعملوا لن يحصلوا حتى على طعام يومهم.

معاناة على توزع الجغرافيا السورية

عمل المسنين لا يقتصر على منطقة سيطرة دون غيرها في سوريا، فالوضع الاقتصادي والمعيشي المتردي يلقي بظلاله على كل الجغرافيا السورية.

وتعمل الستينية خديجة بأعمال الزراعة بالمياومة في ريف درعا الغربي، بأجرة تصل إلى 30 ألف ليرة سورية، عن كل خمس ساعات عمل.

واضطرت خديجة للعمل من أجل تأمين مصروف عائلتها المكونة من ثمانية أفراد، بينهم أحفادها من أبنائها الثلاثة الذين قُتلوا في معارك ضد قوات النظام السوري وضد تنظيم "الدولة الإسلامية"، خلال السنوات الماضية.

تعاني خديجة من الوهن والتعب الجسدي، لكنها مضطرة للعمل، وقالت إن أصحاب المشاريع يتذمرون أحيانًا من وجودها ضمن فريق العمل بسبب وضعها الصحي، إذ إنهم يفضّلون فئة الشباب كونهم أقوى على العمل.

وذكرت أنها تتغيب عن العمل في بعض الأيام عندما تسوء صحتها.

أما رائد المعجون (65 عامًا) فيعمل على صهريج نقل مياه إلى قرى ريف دير الزور الشمالي، من أجل إعالة عائلته وعائلة شقيقه الذي قضى خلال قصف لقوات التحالف على بلدة البوليل شرقي دير الزور عام 2017.

وتقطن الستينية نهلة الصالح في مخيم "الكويتي" شمالي إدلب، وتعيل أسرتها النازحة من معرة النعمان جنوبي إدلب، عبر تكسير ثمار الجوز، وتحصل على أجرة 50 ليرة تركية (21 ألف ليرة سورية) مقابل تكسير 50 كيلوغرامًا.

تضطر السيدة إلى العمل رغم أنها مريضة بداء السكر نتجت عنه حالة بتر في ساقها، ولديها تسرع في القلب، وخضعت لـ12 عملية في قدمها، وتعاني من تفتت في العظم، ولم تستطع تركيب مفصل لرِجلها حتى الآن.

وأدى تدهور الظروف الاقتصادية إلى جعل العديد من كبار السن يكافحون من أجل العثور على عمل كريم، ما أجبرهم على بيع أصولهم لتلبية احتياجاتهم الأساسية، وفق تقرير لـ"الأمم المتحدة" عن شمال غربي سوريا، في شباط 2024.

وذكرت المنظمة أن 59% من كبار السن شمال غربي سوريا يشعرون بانخفاض في الاحترام والتقدير داخل مجتمعاتهم، كما يؤدي الاستبعاد من القوى العاملة إلى تهميش كبار السن، ما يؤدي إلى تدهور صحتهم العقلية.

وأضافت أن كبار السن من ذوي الإعاقة يواجهون صعوبة في كسب الاحترام أو التقدير ويُصنَف ما يقرب من 417 ألف شخص مسن على أنهم الفئة الأكثر "عرضة للخطر" في شمال غربي سوريا، وخاصة أولئك الذين يعيشون في فقر ويقدمون الرعاية لأفراد آخرين من الأسرة، في المنطقة التي يقطنها 5.1 مليون نسمة.

حياة قاسية على كبار السن

يعاني كبار السن في سوريا صعوبات اقتصادية واجتماعية وصحية، في وقت يعيش 90% من السوريين تحت خط الفقر، و12.9 مليون شخص يعانون انعدام الأمن الغذائي.

ومنذ ازدياد هجرة الفئة الشابة من عموم سوريا، بدأ مغتربون كثر يبحثون عمن يرعى ذويهم من كبار السن، بعد أن فرض الواقع الأمني والمعيشي والاقتصادي المتردي خيار السفر على الأبناء منذ سنوات.

وتشهد سوريا ارتفاعًا متزايدًا في أعداد كبار السن، وقُدّرت نسبتهم بنحو 7.2% من عدد السكان لعام 2015، وهو ما يعادل 1.7 مليون شخص، وفق تقديرات لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (إسكوا).

وتوقعت "إسكوا" وصول النسبة إلى 13% عام 2050، أي ما يعادل 5.7 مليون نسمة.

وتتوزع دور رعاية المسنين في مناطق سيطرة النظام السوري، ويبلغ عددها 20 دار رعاية خاصة مرخصة، وتوجد اثنتان حكوميتان هما دار "الكرامة" بدمشق ودار "مبرة الأوقاف" في حلب، وتدار بالتعاون مع المجتمع الأهلي، وتعتمد بشكل أساسي على التبرعات.

وارتفعت تكاليف إقامة كبار السن في هذه الدور إلى نحو 18 مليون ليرة في السنة لكل مقيم، دون أن تشمل الأدوية وتكاليف العمليات الجراحية.

مطبّل ومهاجم.. انقسام سوري عنوانه إيران

جسر "الرئيس" بدمشق- 26 من تشرين الأول 2023 (عنب بلدي / سارة الأحمد)

عنب بلدي - حسام المحمود

بعدما انقسم الشارع السوري إبان انطلاق الثورة السورية في 2011، بين جمهور معارض للنظام مطالب بالتغيير السياسي ورحيل رئيس النظام السوري، بشار الأسد، وفئة متمسكة بالسلطة الحالية وتواليها وتدافع عنها، وما أفرزه ذلك من "تحزّب" جماهيري كان محصورًا نسبيًا بين فئتين من شعب واحد، برزت خلال الأشهر القليلة الماضية حالة تباين في الرؤى بالمعسكر المقرب من النظام بشأن الموقف من إيران، حليفة الأسد والداعم الأبرز إلى جانب روسيا، لبقائه على رأس السلطة.

حالة التباين هذه برزت من خلال مجموعة من الناشطين المؤيدين للنظام السوري، وجاءت مترافقة بموجة متواصلة من التصعيد الإسرائيلي والقصف الذي لا يكاد يتوقف من سلاح الجو الإسرائيلي على مواقع داخل سوريا.

بشار برهوم، وهو ناشط من أبناء الساحل السوري، يدافع بشراسة في تسجيلاته المصورة عن النظام السوري، يرى أن كل من يتعامل مع إيران خائن على كل المستويات، وأن إيران عدوة، وإسرائيل معتدية، وأن قاسم سليماني هجّر من السوريين أكثر مما هجرت إسرائيل عام 1948 من الفلسطينيين، داعيًا الناس للابتعاد عن أي إيراني قد يلتقونه.

برهوم قال في اتصال عبر الفيديو مع قناة "المشهد" نهاية نيسان الماضي، إنه يمثل نبض الشارع السوري وليس الحكومة، وتحدث أيضًا عن دور مشبوه لإيران في سوريا، معتبرًا أن غزة كشفت اللثام وأظهرت الوجه الحقيقي لما يسمى بـ"الثورة الإسلامية الإيرانية"، وأن المشروع الصفوي أخطر من المشروع الإيراني.

وعلى الضفة الأخرى، فهناك أصوات سورية موالية للنظام أيضًا، تبدي تمسكًا بالدور والحضور الإيراني، وترى في العلاقة بين دمشق وطهران "صداقة" لا تغوّلًا وتمددًا استعماريًا كما يرى الفريق الأول، كالناشط علاء محمد، والممثل السوري معن عبد الحق الذي هاجم بشار برهوم واتهمه بالعمالة لإسرائيل لاستهداف الإيرانيين في سوريا.

مؤشرات فتور

ما عزز بروز هذه الأصوات مؤخرًا هو الحرب الإسرائيلية المتواصلة على قطاع غزة منذ 7 من تشرين الأول 2023، مخلفة أكثر من 40 ألف قتيل فلسطيني، ومتسببة بنزوح نحو 80% من 2.2 مليون فلسطيني يقيمون في القطاع الذي تدمرت مساحات واسعة منه بالكامل.

الحرب المستعرة في القطاع المحاصر منذ 17 عامًا قابلها دعم إيراني كثيف، لكن بالتصريحات والتهديد والوعيد، فلم توقف شعارات "الموت لإسرائيل" صاروخًا أو قنبلة أو قذيفة من آلاف سقطت على غزة، كما تتأثر هذه الأصوات بملامح تغيير في العلاقات الرسمية بين إيران والنظام السوري، في الوقت الذي تبدو به إيران عثرة أمام مشروع ما يرغب النظام في إتمامه، أو علاقات سياسية مقطوعة يرغب في وصلها، إلى جانب أن العلاقة مع إيران مسألة تتطلب تغييرًا في التعاطي، وفق ما ورد في المبادرة الأردنية التي طالبت النظام بجملة من التغييرات وعرضت عليها أمورًا أخرى.

ومن مؤشرات هذه التغييرات، ما ذكرته صحيفة "الشرق الأوسط"، في 6 من أيار الماضي، ومفاده أن إيران تشتبه في استعداد رئيس النظام السوري، بشار الأسد، لعقد صفقة محتملة مع الغرب ضدها.

وأضافت الصحيفة أن إيران شعرت بهذا التقارب بين الغرب والأسد، بسبب اتخاذ الأخير موقفًا معتدلًا نسبيًا بشأن الصراع في قطاع غزة، مشيرة إلى أن مؤشرات وجود صدع بين طهران ودمشق، ظهرت بعد قصف إسرائيل القنصلية الإيرانية بدمشق مطلع نيسان الماضي، ما تسبب بمقتل ثلاثة ضباط إيرانيين كبار، بينهم اللواء محمد رضا زاهدي، القيادي في "الحرس الثوري الإيراني".

وكانت صحيفة "الجريدة" الكويتية نشرت تقريرًا نقلًا عن المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني، يفيد أن الأجهزة الأمنية الإيرانية رفعت تقريرًا للمجلس بشأن احتمال ضلوع النظام السوري في تسريب معلومات لإسرائيل، أسهمت في اغتيال كبار القادة الإيرانيين في سوريا.

الانقسام يرتبط بالعنف

حالة التجاذب والانقسام في الموقف حيال طبيعة هذه العلاقة تلقي بظلالها على المجتمع السوري المحكوم بوجود إيراني متواصل في بعض المناطق، وما يرافقه من محاولات استيطان في الأحياء والمناطق السكنية، بالإضافة إلى نقل الطقوس الدينية من "دور العبادة" إلى الطرقات والشوارع العامة، وفرضها على السكان الأصليين في بيئتهم.

الباحثة الاجتماعية عائشة عبد الملك، أوضحت لعنب بلدي أن هذا النوع من الانقسام قد يتبدى على الأرض أكثر من خلال تشكل جماعات أو كيانات غير منسجمة في ولاءاتها وفق المصالح التي تحركها.

الباحثة أشارت أيضًا إلى أن طول فترة إقامة عائلات إيرانية في سوريا أسهم في نشأة أطفال إيرانيين في سوريا، وبعد فترة من الاختلاط قد تحدث حالة ألفة أو تقبل أو تقارب مع هذه الفئة، ما يجعل فئة من السكان تميل لهذه المجموعة أو تلك، لأسباب منها تقاطع المصالح، والانتماء المذهبي، وهذا من شأنه توليد بلبلة ونزاعات في المجتمع تولد تخوفًا لدى الشخص من دخول حي تغلب على سكانه فئة الموالين للوجود الإيراني مثلًا، أو يقيم به إيرانيون.

وبحسب مقالة صادرة عن مركز "حرمون للدراسات المعاصرة"، لحمزة رستناوي، فالانقسام الاجتماعي ما قبل الثورة كان يتجلى بين مؤيدين للسلطة لأسباب تتعلق بالمنشأ الطبقي وأسباب انتهازية نفعية، أو أسباب تتعلق بالطموح والمكانة الاجتماعية، لكن الطرف المعارض يضم معارضين بخلفيات مختلفة.

وإذا لم يكن الانقسام السياسي هو المعلم الأبرز في سوريا قبل 2011، فذلك لغياب الحرية والمفهوم الحديث للمجتمع السياسي، ليطغى حينها أكثر الانقسام الطائفي والقومي والمناطقي، ما جعل الانقسام السياسي في الحالة السورية وإلى حد بعيد انعكاسًا لهذه الانقسامات الثلاثة السابقة، وفق المقالة.

وفي 2011، بدا الانقسام السياسي حاضرًا في البلدة والقرية والحي، بين قوى شابة متحمسة للتغيير السياسي وهي قوى غير مؤدلجة لكنها غير محصنة ضد الأدلجة الإسلامية، وقوى تدافع عن بقاء النظام، لأسباب قد تكون مصلحية ضيقة، وهي غالبًا تسعى لتجنيب البلدة النتائج الكارثية المتوقعة للصراع.

كما أن حدود الانقسام السياسي لا تتطابق مع حدود الانقسام الهوياتي (الطائفي أو القومي أو العائلي)، فالسياسي متغير وفق الظروف والمصالح، لكن الانتماء الهوياتي من الصعب تغييره، كما تتعلق حالة الانقسام السياسي في المجتمع بمستوى العنف، وكلما زادت درجة العنف المستخدم في الصراع، بدا الانقسام السياسي أكثر وضوحًا.

وعلى مدار 11 شهرًا ماضية، خلال الحرب على غزة، شنت إسرائيل غارات غير منقطعة على مواقع سورية وأخرى في لبنان، إلى جانب استهدافها السفارة الإيرانية وتدميرها على رؤوس من فيها من قياديين إيرانيين، واغتيال قياديين في "حزب الله" اللبناني، وإسماعيل هنية في إيران، لتتراوح الردود من "محور المقاومة" بين قصف لا يوقع قتلى يستهدف مواقع غير مأهولة إسرائيلية، وبين وعيد بالرد لا يتكافأ مع حجج الاستهداف، وهو ما يفسر نقطة ارتباط زيادة الانقسام بمستوى العنف.

الشيخوخة تتسارع في الـ 44 والـ60 من العمر

نشرت مجلة "Scientific American"، في 27 من آب الماضي، دراسة كشفت تسارع الشيخوخة في سنّي الـ44 والـ60 من العمر، وهو ما يفسر السبب في الزيادة الحادة بحالات الإصابة بالعديد من الأمراض خلال هاتين الفترتين.

وقال أستاذ علم الوراثة في جامعة "ستانفورد" الأمريكية، والمؤلف الرئيس للدراسة، البروفيسور مايكل سنايدر، "اكتشفنا أن عمل الجسم لا يتغير بسلاسة مع التقدم بالعمر، بل تحدث أحيانًا تغيرات حادة في عمل خلايا الجسم، فمثلًا اتضح أن هذه التغيرات الحادة في المؤشرات الحيوية للشيخوخة، تحدث في منتصف الأربعينيات من العمر، وتحديدًا عند سن الـ44، ويحدث تغير آخر في بداية الستينيات".

وتوصل الباحثون إلى هذا الاستنتاج من متابعتهم لحياة حوالي 108 متطوعين أصحاء أعمارهم بين 25 و75 عامًا، حيث أخذ الباحثون عينات من دمهم وسوائل بيولوجية أخرى خلال عدة سنوات، كانوا خلالها يقيسون تركيز المؤشرات الحيوية الرئيسة المرتبطة بشيخوخة الخلايا، ويتتبعون تغير تركيزها مع التقدم بالعمر، إضافة إلى مراقبتهم آلاف البكتيريا والفطريات والفيروسات التي تعيش على الجلد وداخل الجسم.

واتضح للباحثين من متابعتهم لتغير هذه المؤشرات، أن 81% من الجزيئات أظهرت أن خصائص الشيخوخة غير ثابتة، بمعنى أنها تتغير بوتيرة أسرع في أعمار معينة بدلًا من التغير التدريجي مع مرور الوقت.

وحدث أول تغيّر في عمر 44 عامًا، والتغير الثاني في عمر 60 عامًا، ويرتبط التغير الأول وفقًا للعلماء بعملية التمثيل الغذائي، ويرتبط الثاني بمنظومة المناعة والكلى والقلب.

وهذه التغيرات تشمل الرجال والنساء على حد سواء، وهي السبب في الإصابة بالعديد من أمراض الشيخوخة، بما فيها الخرف وأمراض القلب المختلفة.

لم يحدد الفريق البحثي بعد ما إذا كانت هذه التغيرات ناتجة عن عوامل بيولوجية أو سلوكية بحتة أم مزيج من الاثنين، لكن الأدلة تشير إلى أن بعض هذه التغيرات قد تكون متأثرة بعوامل من خارج نطاق الجسم، نتيجة تناول الكافيين والكحول والدهون في منتصف الأربعينيات.

ويفترض مؤلف الدراسة، أن هذا قد يكون مدفوعًا جزئيًّا، بحقيقة أن منتصف الأربعينيات يعتبر فترة حياتية مليئة بالتوتر، إذ ينشغل العديد من الناس برعاية أسرهم.

ونصح القائمون على الدراسة، بأهمية التركيز على الصحة خلال هاتين الفترتين العمريتين (44 و60)، والمبادرة بممارسات صحية قبل بلوغهما، بغض النظر عن العوامل المؤثرة.

قد تكون مميتة في بعض الأحيان

ضربة الشمس

د. أكرم خولاني

مع ارتفاع درجات الحرارة في مثل هذه الأيام من كل عام، تكثر حالات الإصابة بضربة الشمس، وخاصة بين العمال تحت أشعة الشمس أو في الأماكن المغلقة سيئة التهوية، لكنها تكثر أيضًا عند عموم الناس في المناطق سيئة الخدمات، من حيث توفر الكهرباء لتشغيل المراوح ومكيفات الهواء والثلاجات، لذلك لا بد من التذكير بأسباب وأعراض وطرق الوقاية من الإصابة بضربة الشمس التي قد تكون مميتة في حال لم تعالَج بشكل صحيح.

ما المقصود بضربة الشمس وكيف تحدث

ضربة الشمس (Sunstroke)، أو ما تسمى أيضًا ضربة الحر (Heatstroke)، هي حالة طبية طارئة تحدث عندما تزيد درجة حرارة الجسم الأساسية على 40 درجة مئوية (104 درجة فهرنهايت)، بسبب التعرض لفترات طويلة لدرجات حرارة عالية أو مجهود بدني في الظروف الحارة والرطبة.

ويحدث ارتفاع درجة حرارة الجسم نتيجة توقف إفراز العرق الذي يلطف حرارة سطح الجسم عند تبخره، فأحيانًا ونتيجة البقاء في الجو الحار أو تحت أشعة الشمس لفترة طويلة، قد يخسر الجسم 10 ليترات من العرق، وفي حال عدم تعويض هذا الحجم فسيصاب بالتجفاف، وهذا يؤدي إلى توقف عملية التعرق، كذلك عند البقاء لفترة طويلة أو بذل مجهود بدني في مكان حار وسيئ التهوية مع نسبة رطوبة مرتفعة، فإن آلية تنظيم الحرارة في الجسم تفشل، ويتوقف تدفق الدم إلى الجلد ما ينتج عنه توقف إفراز العرق، كل ذلك سيؤدي إلى ارتفاع حرارة الجسم بشكل سريع، وإذا ما وصلت حتى 40-39 درجة مئوية فإن الدماغ يقوم بإرسال إشارات إلى العضلات حتى تبطئ من حركتها، وهو ما يجعل المرء يبدأ بالشعور بالإعياء والتعب، ويترافق ذلك بالدوخة وتشوش الرؤية والشعور بالخدر في أنحاء الجسم، وتسمى هذه الحالة "الإنهاك الحراري"، وإذا استمرت حرارة الجسم بالارتفاع وتجاوزت 40–41 درجة مئوية، يبدأ تأثر التفاعلات الكيماوية في الجسم، ويحدث خلل مؤقت أو دائم في عمل الأجهزة الحيوية في الجسم كالقلب والرئتين والكبد والكليتين والعضلات والدماغ، وقد تنتهي الحالة بالوفاة.

ما الأعراض

قد تتطور الأعراض خلال ساعات، فيلاحَظ عند المصاب ارتفاع حاد بدرجة حرارة جسمه (40 درجة مئوية أو أعلى)، وعدم تعرق، ويكون الجلد حارًا وجافًا عند لمسه، ومائلًا للاحمرار (في ضربة الشمس الجهدية قد يكون الجلد رطبًا)، مع صداع ودوار، وغثيان وقيء، وزيادة سرعة التنفس، وتسارع ضربات القلب، وارتفاع ضغط الدم في البداية ثم انخفاضه في المراحل المتقدمة، وعندها يحدث إعياء شديد، وهلوسة، وصعوبة الكلام وعدم فهم ما يقوله الآخرون، أخيرًا قد يحدث إغماء وتضيق حدقات العينين وتشنج العضلات، وقد تؤدي الحالات الخطيرة وغير المعالجة إلى الوفاة.

وعادة ما تتطور الحالة وفق التسلسل المذكور، إلا أن من الممكن أن تبدأ الإصابة بسقوط مفاجئ مع فقدان للوعي وسرعة وعمق في التنفس، بالإضافة إلى باقي الأعراض التي ذكرناها.

ما التوصيات لتجنب الإصابة

في الأجواء الحارة يُنصح بتجنب التعرض لأشعة الشمس لفترات طويلة ومتواصلة، والبقاء قدر الإمكان في الأماكن المظللة وجيدة التهوية.

كذلك تجنب العمل أو ممارسة الأنشطة الرياضية في الطقس الحار وخاصة بالظهيرة، وفي الأماكن المغلقة سيئة التهوية ومرتفعة الرطوبة.

الإكثار من شرب الماء والعصائر.

عدم ترك الأطفال يلعبون تحت أشعة الشمس لفترات طويلة، وعدم ترك أي شخص وخصوصًا الأطفال أو كبار السن في سيارة مغلقة لفترة طويلة في الطقس الحار.

في حال الإحساس بأعراض الإنهاك الحراري، يجب اتخاذ تدابير فورية، كالذهاب إلى مكان مكيف أو مظلل، ورش الجسم بالماء البارد، وشرب السوائل غير السكرية أو الحاوية على الكحول أو الكافيين، وبهذا يمكن منع تطور الحالة.

كيف يجب التعامل مع الإصابة

في حال عدم تحسن أعراض الإنهاك الحراري خلال 30 دقيقة، أو كانت الإصابة شديدة وظهرت أعراض ضربة الشمس، يجب على المرافقين طلب سيارة الإسعاف لنقل المصاب إلى المستشفى، وفي هذه الأثناء يجب البدء بالإسعاف الأولي.

ويبدأ الإسعاف الأولي بإبعاد المصاب عن أشعة الشمس والجو الحار ووضعه في مكان مظلل أو مكيف، والانتباه لإبقائه مستلقيا على ظهره، ثم يتم تبريد جسم المصاب من خلال إزالة الملابس غير الضرورية، واستخدام كمادات ماء بارد لتبريد الرأس والأطراف وتحت الإبطين وبين الفخذين، كذلك لف الجسم بقطعة قماش مبللة بالماء البارد، أو صب الماء على الجسم، ويمكن تغطيس الطفل في حوض ماء بارد بدرجة حرارة 15 مئوية مع تجنب استخدام الثلج خشية أن يسبب تقلص الأوعية الدموية مما يسيء للحالة.

ويفضل تعريض الجسم لمصدر هوائي أو مروحة حتى يتبخر الماء بسرعة مما يخفض من حرارة ا لجسم .

إذا كان المصاب واعيًا فيجب إعطاؤه ماء أو مشروبًا مثلجًا لشربه، مع ضرورة تجنب المشروبات الساخنة أو المنبهة.

وعند الوصول إلى المستشفى، يعطى المصاب السوائل عن طريق الوريد وتتم مراقبة العلامات الحيوية، ويجب التوقف عن تبريد الجسم في حال هبطت حرارته إلى ما دون 38 مئوية، وعادة ما يستغرق التعافي الأولي يومًا إلى يومين.

تصيب الجسم عند التقدم بالعمر

هل سمعت بظاهرة "ساركوبينيا"

"ساركوبينيا" (Sarcopenia)، أو ضمور العضلات، هو فقدان كتلة العضلات الهيكلية وقوتها وكفاءتها نتيجة التقدم بالعمر أو قلة الحركة، إذ تحدث خسارة 1%-0.5 من كتلة العضلات الهيكلية سنويًا عند من هم أكبر من 50 عامًا.

"ساركوبينيا" هي كلمة يونانية تعني "الفقر من اللحم"، وقد صنفت هذه الظاهرة البيولوجية على أنها مرض حقيقي، ولكن لم تحدد طبيعته إلا في العام 1988 من قبل العالم الأمريكي إروين روزنبرغ، ولم يعترف به من قبل منظمة الصحة العالمية كمرض في تصنيفها للأمراض إلا في العام 2016.

إن آلية تطور هذا المرض لا تزال غير معروفة، ولكن المعروف أنه يصيب ألياف العضلة، ويؤدي إلى عدم قدرتها على القيام بوظيفتها، ما ينتج عنه ضعف في العضلة بشكل عام، وعادة ما يكون أسرع فقدان هو في عضلات الساقين بسبب أن الشخص عندما يجلس أو يستلقي ولا يحرك رجليه فإن قوة عضلات الساقين هي أكثر العضلات تأثرًا.

ولتفادي الإصابة بهذا المرض ينصح بما يلي:

القيام بالأنشطة البدنية اليومية، كصعود ونزول الدرج والمشي وركوب الدراجات، فكلها أنشطة تقوي العضلات.

ممارسة المشي اليومي لمدة 30 دقيقة على الأقل، ويجب أن يستهدف القيام بـ10000 خطوة في اليوم الواحد بشكل تدريجي، وهذا هو النشاط الطبيعي لضمان حصول عضلات الساقين على تمرين كافٍ وبقائها صحية.

اتباع نظام غذائي كافٍ من السعرات الحرارية والبروتينات، فيجب تناول ما لا يقل عن 1.2 غرام من البروتين لكل كيلوغرام من وزن الجسم وذلك كل يوم.

القرفصاء على الأقل 20 إلى 30 مرة في اليوم.

تجنب اعتماد المسن على المساعدين ما أمكن في قضاء حوائجه المنزلية.

إذا كان الشخص المسن مريضًا أو أدخل المستشفى، فيجب ألا يطلب منه التزام السرير والاستلقاء والاسترخاء كي يستريح أكثر إذا كان بإمكانه التحرك والخروج من السرير.

والقاعدة: لا تقف إذا كنت تستطيع المشي، ولا تجلس إذا كنت تستطيع الوقوف، ولا تستلقِ إذا كنت تستطيع الجلوس!

ما أبرز إصدارات الهواتف الذكية لعمالقة التكنولوجيا في 2024

تستمر المنافسة بين شركات صناعة التكنولوجيا العملاقة، لإنتاج هواتف ذكية بمميزات جديدة، وإقناع المستهلكين بجودتها وقدرتها على تسهيل حياتهم قدر الإمكان.

وأعلنت الشركات الثلاث الكبرى، "آبل" الأمريكية، و"هواوي" الصينية، و"سامسونج" الكورية الجنوبية، عن إنتاجاتها الجديدة للعام الحالي، وأطلقتها في الأسواق العالمية، باستثناء "آبل"، التي أعلنت عن عقد مؤتمرها السنوي في 9 من أيلول الحالي بالولايات المتحدة الأمريكية، ومن المقرر أن تعلن خلاله عن هاتفها الجديد "16iphone" وإطلاقه رسميًا في الأسواق.

معظم الهواتف المعلن عنها حديثًا ركزت على نقطتين أساسيتين، الأولى الكاميرا والعدسات المتنوعة ودقة الصور، لاجتذاب رواد وسائل التواصل الاجتماعي ومحبي التصوير عمومًا. فيما ارتبطت النقطة الثانية بالذكاء الاصطناعي والاستعانة به ضمن مهام الهاتف اليومية، بما في ذلك التصوير أيضًا.

"سامسونج" ومحاولة التكامل

بدأت شركة "سامسونج" الكورية الجنوبية المنافسة مبكرًا للعام الحالي في سوق الهواتف الذكية، وأطلقت رسميًا هاتفها الجديد "samsung galaxy s24 ultra" في 31 من كانون الثاني الماضي.

ركزت الشركة على الذكاء الاصطناعي كأساس للإعلان عن هاتفها الجديد، معتبرة أن المستخدم سيستمتع بأفضل ما تقدمه التكنولوجيا وبمميزات "لم يسبق لها مثيل".

واعتمدت الشركة على الذكاء الاصطناعي في عمليات تعديل الصور بشكل فوري والترجمة المباشرة خلال إجراء المكالمات وكذلك للبحث عن المعلومات.

وجاءت الكاميرا بدقة 200 ميجابكسل وبطارية بسعة 5000 ملي أمبير مع شحن سريع، وقلم ذكي ومقاومة للماء والغبار.

"هواوي".. التصوير أولًا

من جهتها، أصدرت شركة "هواوي" الصينية هاتفها الجديد "Huawei Pura 70 Ultra"، في نيسان الماضي، الذي جاء بكاميرا خلفية ثلاثية بدقة 50 ميجابكسل، مع عدسة واسعة وأخرى فائقة الاتساع وثالثة تليفوتوغرافية، وبسعة بطارية 5200 ملي أمبير، وشحن لاسلكي، وهو كذلك مقاوم للماء والغبار.

قد يبدو الهاتف ومميزاته ضعيفًا أمام ما أصدرته شركة "سامسونج" والشركات الأخرى، إلا أن فارق السعر يلعب دورًا لمصلحة الشركة الصينية (يختلف سعر الهاتف من بلد لآخر وفق القوانين المحلية لكل بلد).

كما أن الشركة أطلقت عدة هواتف أخرى في استمرارها للتركيز على الهواتف من الفئة المتوسطة واجتذاب عدد أكبر من المستهلكين، مع تقديم ميزات جيدة.

الشركة كذلك ركزت على التصوير، وأفردت مساحة واسعة عبر موقعها الرسمي لشرح مميزاته في هاتفها الجديد، بما في ذلك التقاط الصور بسرعة فائقة، والألوان في تسجيل الفيديو.

الشركة أضافت بعض الميزات الخاصة بالذكاء الاصطناعي، كالتحكم بالهاتف والإيماءات.

"آبل" وانتظار أيلول

حتى لحظة نشر هذا التقرير ليس معروفًا بالضبط جميع ميزات الهاتف الجديد من "آبل" باعتبارها لم تصدر من الشركة رسميًا بانتظار عقد مؤتمرها السنوي في الولايات المتحدة الأمريكية.

لكن التسريبات الأخيرة للمواقع الإلكترونية المختصة بالهواتف المحمولة والتكنولوجيا، أو وسائل الإعلام، نشرت بعض الميزات المتعلقة بالهاتف الجديد، والتي ركزت على نسخ احترافية للتصوير وبزوايا عريضة فائقة بدقة 48 ميجابكسل، مع إضافة "زوم تلسكوبي".

كما ركزت الشركة على تحسين عمل معالج هاتفها الجديد، مع اعتماد كبير على الذكاء الاصطناعي كذلك، عبر التعرف على الأصوات وتحليل الصور، وتحسينات على المساعد الشخصي "سيري"، ومنح المستخدم تفاعلًا أكبر.

وسيتمكن المستخدمون كذلك من الحصول على ملخصات ذكية للبريد الإلكتروني والرسائل، وتقديم خدمات إنشاء النصوص وتحسينها لكتابة محتوى أكثر دقة واحترافية.

سينما

"House of the Dragon"..
بطء أحداث وباب مفتوح على موسم ثالث

انتهى مؤخرًا عرض الموسم الثاني من مسلسل "House of the Dragon" الذي عُرض بعد أكثر من 20 شهرًا على عرض الموسم الأول، فاتحًا الباب على موسم ثالث من العمل الذي سلك مسارًا تصاعديًا في تتابع الأحداث دون مبالغة في السرعة أو تخطي المراحل.

الموسم الثاني الذي جاء حاملًا ملامح حرب طاحنة على العرش، بين وريثة شرعية للحكم، وحاكم غير شرعي اعتلى العرش بالحيلة والخدعة لم يقدم للجمهور حربًا كاملة مقدار ما قدم تمهيدًا لهذه الحرب، مع معارك جاءت مفاجئة دون تمهيد كافٍ يجعلها على الأقل متوقعة أمام الجمهور.

وخلافًا للموسم الأول الذي جاء في عشر حلقات، اقتصرت حلقات الموسم على ثمانٍ فقط، عُرضت منها حلقة واحدة كل أسبوع، لكنها حركت في عشاق السلسلة الأصلية "Game of Thrones" مشاعر الحنين للعمل الأصلي الذي جاء هذا المسلسل استكمالًا عكسيًا له، كونه يتناول الفترة الزمنية التي سبقت أحداث المسلسل الأول بـ300 عام.

الربط في المسلسل متناغم جدًا مع كل التفاصيل التي وردت في المسلسل السابق، وما جاء في بعض مشاهده من حديث عن الأجداد وصفاتهم وخصالهم الأخلاقية، ويمهد لموسم ثالث يفترض أن يكون أشد تأثيرًا بعد انتقادات طالت الموسم الحالي تتعلق ببطء الأحداث، ودخول الملل على الخط أحيانًا، وهو ما أثر في تقييم بعض الحلقات.

ينتمي المسلسل لفئة أعمال "الفانتازيا"، دون إلغاء المحاكاة لما هو واقعي وحقيقي وملموس، فالعلاقات العاطفية المحرّمة، والطمع بالسلطة، وألاعيب السياسة، والانقلابات، والحرب وأدواتها، كل تلك الأشياء لا تأتي من الخيال وحده، طالما أن مخيلة الكاتب قد تتأثر بما هو واقعي وتبني عليه.

كما أن المختلف في هذا العمل عن سابقه الأصلي ثمانيّ المواسم، تخفيض المحتوى الجنسي، بما يمكن أن يوسع رقعة المشاهدة، ويزيد التركيز على الموضوع والمضمون دون إلهاء، أو محاولة ترقيع ورتق لضعف ما بمحتوى تشويشي.

"House of the Dragon" من بطولة كل من بادي كونسيدين، وأوليفيا كوك، وإيما دارسي، ومات سميث، ونتاج جهد عدة كتّاب سيناريو ومخرجين، وإنتاج شركة "HBO" التي تعمل على تطوير أكثر من سلسلة مشتقة أيضًا عن العمل الأصلي، إذ يعتمد المسلسل على رواية "النار والدم"، في حين اعتمد العمل الأصلي على رواية "أغنية الجليد والنار".

كتاب

"داريا الحكاية".. قصص الموت والمنفى

"روح عاشقة أنا، انبثقت من جبال مهبط المساءات، ذات فجر حياة. أتجدد مع كل ربيع، مع تبرعم عناقيد العنب، أنا حكاية داريا، تعيش مع كل انتفاضة حرية، رابطة الدم مع ذاكرة الأرض".

بهذه الكلمات بدأ الكاتب والباحث السوري، مازن عرفة، روايته "داريا الحكاية" بنفَس يحمل الحنين والحرية والذكريات، مدخلًا القارئ إلى جمال الريف السوري ودفء ترابه وعذوبة وغزارة مياهه وجمال نباتاته وأشجاره، لينتقل به لاحقًا إلى عالم مغاير لما بدأ به، إلى ذكريات الدم والنزوح والموت.

تنقسم الرواية المكوّنة من 176 صفحة إلى خمسة فصول، بدأها عرفة بـ"داريا العنب" المليء بالتوصيفات الريفية، وكان على لسان عائلة، الأب فيها حقل قمح والأم كرمة عنب، وأولادهما وأحفادهما، وسرعان ما تنتقل الرواية إلى لسان الشخصيات.

يسرد الكاتب أحداثًا مروية على لسان شخصيات عدة (حسن وخليل وحنين ووفاء وسمية ومحمد وسميرة و...) لترسم معالم لا تقف عند داريا فقط، بل تمتد إلى معظم البلدات والقرى الريفية.

ولم ينهِ الكاتب الفصل الأول دون الدخول في المظاهرات المناهضة للنظام السوري، وقصف قواته للمدينة واقتحامها والاشتباكات العسكرية، وأصوات الرصاص والجنود، مستحضرًا المجريات بطريقة توثيقية سردية.

حمل الفصل الثاني عنوان "داريا الثورة"، وذكر فيه الكاتب أحداثًا على لسان من نجا من الموت، ولجأ إلى بلدات مجاورة تسيطر عليها قوات النظام وحلفاؤها، وعلى لسان من بقي يتجرع مرارة الحصار والاعتقال والعوز والخوف.

جاء الفصل الثالث حاملًا عنوان "داريا المجزرة" ليروي قصص الموت والدم، وطرق الاستهداف الوحشية من قوات النظام السوري للمدينة، ورمي المروحيات لأحقادها، والبراميل ودوي الانفجارات، وارتجاج المنازل، ووصف أشكال "الشبيحة" وسلوكهم، الذين يبدون أشبه بـ"خنازير وحشية" يقتاتون على الدم والسلب.

وحمل الفصل الرابع "هلوسة" والخامس "كوابيس المنفى" مشاهد الصدمة لما حصل في داريا، فالناجي لا يفرق عن الميت، لأنه حمل في ذاكرته ما عايشه ورآه، فهناك "في المنفى، حيث لا حكاية لي، الجسد يعيش الأمان، لكن الجنون ذهب بالروح إلى أقصاه، غدوت ممسوسًا، متشظيًا، معطوب الذاكرة إلا من ومضات مبهمة، تزيد الآلام".

اعتبر الكاتب مازن عرفة في حديثه لعنب بلدي، أن الرواية تمثّل حكاية كل قرية سورية، وكُتبت بسرد سريالي ولغة وألفاظ مرنة تجعلها لا محدودية الزمن وحية لعشرات السنين.

صدرت الطبعة الأولى من الرواية في تشرين الثاني 2023، عن دار "ميسلون للثقافة والترجمة والنشر"، وتعد واحدة من مؤلفات عديدة أدبية وفكرية للكاتب مازن عرفة المقيم في ألمانيا.

يحمل عرفة إجازة في الآداب من قسم اللغة الفرنسية بجامعة "دمشق" عام 1983، ودكتوراة في العلوم الإنسانية تخصص المكتبات والمعلومات من جامعة "ماري كوري سكودوفسكا" في مدينة لوبلين- بولونيا.

ومن مؤلفات عرفة المولود في قطنا بريف دمشق 1955، "وصايا الغبار" و"سحر الكتاب وفتنة الصورة" و"سرير على الجبهة" و"الغرانيق" و"الغابة السوداء".

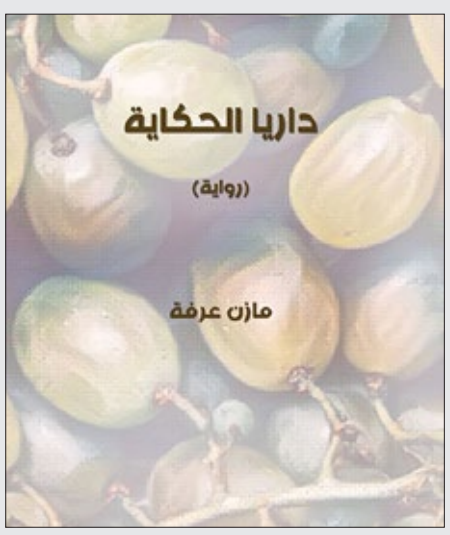

				3	9	8		4
4			2		8		1	
	3					6		
6		4			2			3
		2		4		7		
1			9			5		2
		5					3	
	4		3		6			1
2		3	4	1				

لعبة تتكون من 9 مربعات كبيرة 3×3، و81 مربع صغير 9×9.
تكون بعض المربعات الصغيرة معبأة بالأرقام بدايةً، وعلى اللاعب إكمال باقي المربعات باستخدام الأرقام من 1 إلى 9، في كل واحدٍ من المربعات التسعة الكبيرة، وفي كل صفٍ أو عمود.

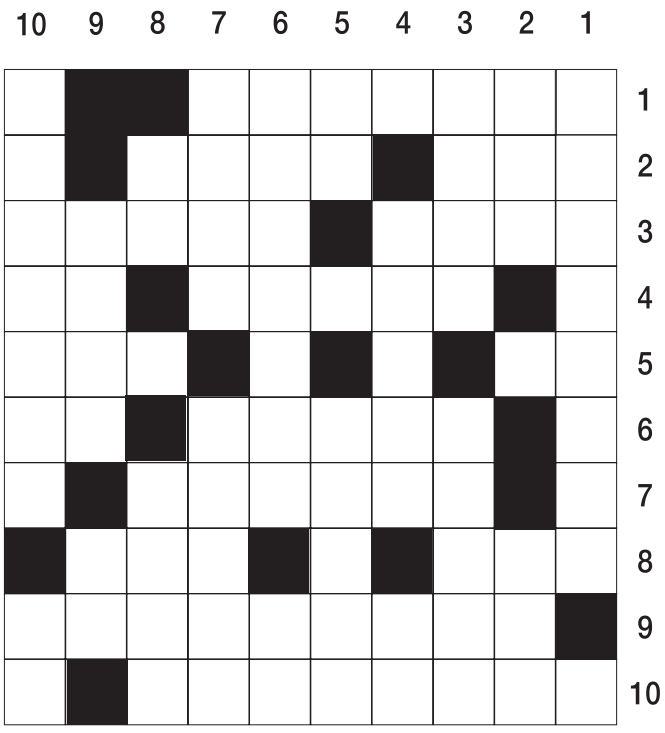

أفقي
1. الحمداني الذي غنت من شعره أم كلثوم
2. من يبني o صندوق صغير
3. من السماء o من أدرك الجاهلية والإسلام
4. النتيجة والتالي o حسم
5. أداة نفي جازمة o عبء ثقيل
6. ممثلة مصرية من أفلامها جميلة o متشابهان
7. أبنائي
8. نضب وانتهى o وراء
9. طبيب وعالم وفيلسوف مسلم ولد في دمشق وتوفي في القاهرة
10. مدينة أفريقية بناها عقبة بن نافع

عمودي
1. مقدمته أساس علم الاجتماع
2. لون من ألوان الخشب o توقع الخير أو الشر
3. مراقب مؤنب o ما لصق
4. شراب ساخن لذيذ o غير ناضج
5. فرعون o اسم مؤنث أعجمي
6. لا يمكن كسره أبدا o ليت
7. نقعة مائية وسخة o بدانة (مبعثرة)
8. نصف بيضة o يصبح عفنا
9. من تربى عند أحدهم o طرف (معكوسة).
10. شاعر شعراء العرب o حاجز

6	8	5	9	4	3	1	2	7
4	9	2	6	7	1	3	8	5
3	1	7	8	2	5	6	4	9
5	2	8	1	6	4	9	7	3
7	4	6	3	9	8	5	1	2
1	3	9	2	5	7	8	6	4
2	5	3	7	8	6	4	9	1
8	7	1	4	3	9	2	5	6
9	6	4	5	1	2	7	3	8

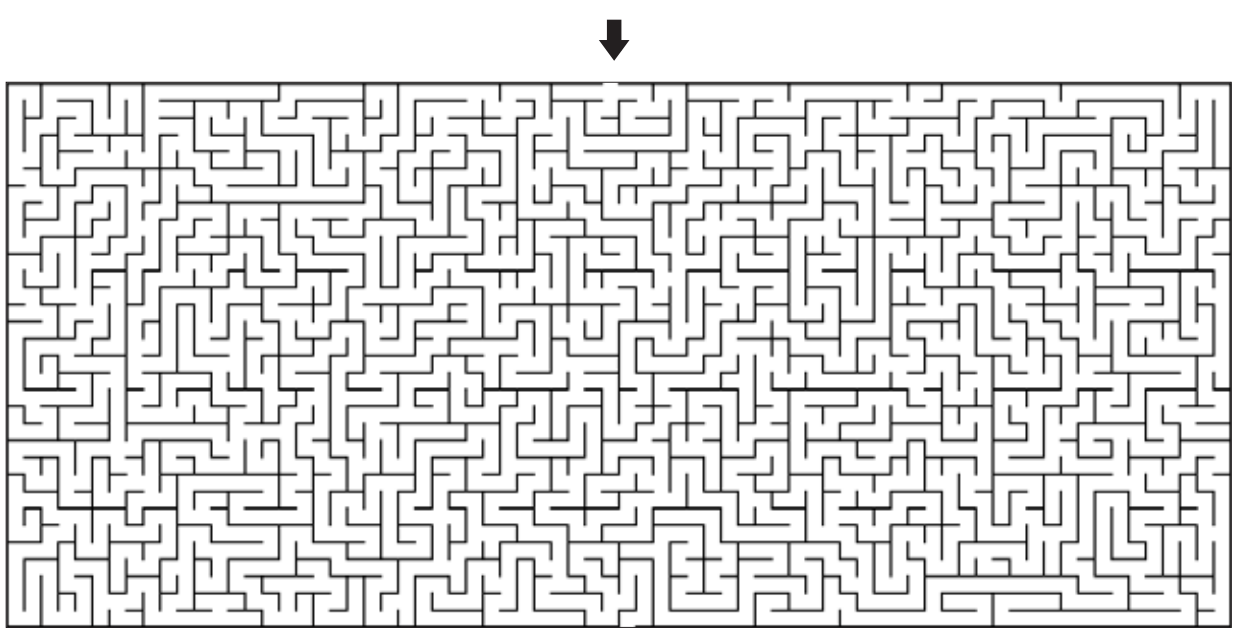

للمشاركة في تحرير صفحات "عنب بلدي" يمكنكم إرسال مشاركاتكم
عبر البريد الإلكتروني إلى editor@enabbaladi.org

الآراء الواردة في الجريدة لا تعبر بالضرورة عن رأي عنب بلدي

الشامبيونزليج آخر طبعة..
جديد جديد

عروة قنواتي

لا تهدف هذه الزاوية لشرح أسلوب القرعة وكيفية لعب المباريات في النظام الجديد والشكل الحديث من دوري أبطال أوروبا 2025-2024، ويستحق هذا النظام وما ننتظره من أداء واستعدادات للأندية بما يخص هذه النسخة تحديدًا لقب "آخر طبعة"، فمن المفترض وبارتفاع عدد الأندية المشاركة في المسابقة من 36 إلى 38، وانقلاب أسلوب لعب دور المجموعات إلى طريقة الدوري وبمعدل 8 مباريات بدل 6، أن نشاهد موسمًا استثنائيًا ومهمًا تنعطف به القارة الأوروبية نحو إنتاج جديد في متعة الساحرة المستديرة.

الأهم من هذا وذاك هو طبيعة اللقاءات الثأرية والمفعمة بالذكريات بين الأندية الكبرى، ولقاءات بعض النجوم والمدربين كخصوم في الملعب، والتي ستكون مواد دسمة ومعقدة للصحف والمواقع والمنتديات الرياضية الكروية في العالم.

برشلونة يعود لمواجهة بايرن ميونيخ بعد سلسلة من الهزائم التي ألحقها البافاري الألماني بحق البارسا في السنوات الماضية، لكنّ لهذا الموسم مذاقًا خاصًا ورونقًا مميزًا، إذ إن صاحب النتيجة الكبرى للبافاري في شباك البارسا (2-8) المدرب هانز فليك قد أصبح المدير الفني للنادي الكتالوني منذ بداية الموسم الحالي، وقد حقق حتى الآن انتصارات وضعته في صدارة ترتيب الليجا مع مجموعة من الشباب والمخضرمين، فكيف سيمر هذا التحدي الذي سيلعب مرة واحدة داخل المعقل الكتالوني ودون إياب؟ هكذا تقتضي ظروف القرعة الجديدة.

على الرواق الثاني سيطل النجم الفرنسي الشاب كيليان مبابي بقميص النادي الملكي لمواجهة فريقه السابق باريس سان جيرمان، المواجهة الأولى بعد سنوات من الانتظار دفع ثمنها جمهور الملكي، وبذل السيد فلورنتينو بيريز الصبر والأرقام المميزة ماليًا لإنجاز الصفقة، فكيف ستكون طبيعة المواجهة والمصافحة ما قبل المباراة بين السيد ناصر الخليفي رئيس نادي باريس سان جيرمان، وبعض اللاعبين القدامى في الفريق مع زميلهم المغادر إلى صفوف الملكي والذي سيكون خصمًا يُحسب له ألف حساب بعد صافرة البداية؟

ليفربول أيضًا، الذي وقع في قبضة ريال مدريد مجددًا، والذي يمنّي النفس بفوز يكسر به نحس الهزائم مع المدرب الجديد آرني سلوت، سيواجه نادي الميلان بذكريات الماضي ونهائيات دوري الأبطال، فلكل فريق ثأر عند الآخر، ولطالما أمتعت مواجهات الفريقين جماهير الكرة الأوروبية في سنوات امتلأت بها دكة بدلاء النادِيين بالنجوم، فما بالكم بأساطير التشكيلة الأساسية.

كل الأسئلة والاستفسارات تأتي حاليًا بعنوان عريض هو: هل التحديثات والأنظمة الجديدة في المسابقة الأغلى على مستوى العالم تفي بالغرض؟ وهل ستقدم المتعة والإثارة المطلوبة لعشاق كرة القدم الأوروبية حول العالم؟

علينا ألا نستعجل إطلاق الأحكام في الموسم الأول، فمن الواضح أنه سيكون مرهقًا لكثير من الأندية الكبرى والمتوسطة بحسب رزنامة المسابقات والتحديات والمنافسات لكل نادٍ، محليًا وقاريًا، ولكنني أجزم بأن عض الأصابع سيبدأ بشكل مثير ومرعب مع نهاية الدور الأول واستعداد المتأهلين للإقصائيات في آخر طبعة صدرت عن الشامبيونزليج. استعدوا!

"دوري المغتربين السوريين"..
بطولة للتواصل والتسلية في غازي عينتاب

فريق "شام سبور" في دوري المغتربين السوريين في غازي عينتاب – آب 2024 (دوري السوبر السوري في عنتاب)

عنب بلدي – حسن إبراهيم

عبر المستطيل الأخضر، يواصل السوريون خلق فرصة تواصل فيما بينهم، وعكس حبهم وشغفهم بكرة القدم، من خلال إنشاء دوريات شعبية بجهود فردية، وسط ظروف عمل في تركيا لا تتيح لبعضهم الاجتماع سوى يوم العطلة، الأحد.

"دوري المغتربين السوريين" في مدينة غازي عينتاب جنوبي تركيا إحدى هذه البطولات، ويعد فرصة للتسلية واللقاء بين سوريين يقيمون في مدينة تضم 430 ألف لاجئ سوري تحت قانون "الحماية المؤقتة".

منذ خمس سنوات

المدرب فياض دوه جي، أحد القائمين على الدوري، قال لعنب بلدي، إن "دوري المغتربين السوريين" بدأ منذ عام 2019، وسبب تسميته يعود لكونه دوريًا جامعًا للشباب السوريين الموجودين في الغربة بعيدًا عن وطنهم.

وأضاف أن الدوري جامع من ناحيتين رياضية واجتماعية، بسبب قلة الفعاليات الاجتماعية التي تضم الشباب السوريين، وهدفه المعنوي من تواصل وترفيه وتسلية أكبر من هدفه المادي، لأن قيمة الاشتراك بالكاد تكفي لسد مصاريف الجوائز وأجور الملاعب.

وذكر دوه جي، وهو خريج كلية التاريخ من جامعة "غازي عينتاب"، وخريج قسم الإدارة الرياضية من جامعة "الأناضول"، أن النسخة الحالية من الدوري هي الـ25، لكن سُميت بالنسخة الأولى لأنها جرت على ملعب مختلف عن سابقاتها.

وأوضح المدرب أن عدد الفرق المشاركة يختلف في كل نسخة من الدوري، لكن أقل عدد مشارك هو 16 فريقًا وأكثره 24 فريقًا، لافتًا إلى أن جميعهم من السوريين، ومن جميع الأعمار.

لجنة وجوائز

إلى جانب دوري الرجال، يوجد دوري خاص للشباب ويبدأ من الـ19 عامًا وما دون، ودوري خاص بالناشئين من 17 عامًا وما دون، وتجري الدوريات بإشراف لجنة مؤلفة من عدة أشخاص، هم الكابتن فياض دوه جي، ولاعبون محترفون سابقون في سوريا هم أحمد دوه جي، ومحمد دوه دوجي، ومتطوعون مهتمون بكرة القدم.

وذكر الكابتن فياض أن الدوري يقام على ملعب سداسي خاص، بإيجار 700 ليرة تركية لكل مباراة، لافتًا إلى أن أجور الحجز تختلف حسب التوقيت صباحًا أو مساء.

وأوضح أن كل فريق يدفع 450 ليرة تركية رسوم الاشتراك في المباراة، والمبلغ المتبقي من الفريقين بعد دفع أجور الملعب هو أجور للتحكيم، وثمن جوائز تشتريها اللجنة نهاية البطولة.

في نهاية البطولة، يوزع القائمون على الدوري جوائز رمزية من أحذية رياضية أو ألبسة أو معدات، لأفضل لاعب وأفضل حارس ومدافع وخط وسط ومهاجم ومدرب، وفق الكابتن دوه جي، معتبرًا أن القيمة المعنوية للجوائز أكبر من قيمتها المادية.

عقبات في استخراج الأوراق

تواجه البطولات وحتى الأكاديميات الرياضية في تركيا بعض العقبات والتحديات سواء المالية أو القانونية، وتتجاوز بعضها في حين تتعثر بأخرى.

المدرب فياض دوه جي، قال إن بعض الشباب في الدوري يمتلكون مواهب ومهارات عالية، لكن عقبات استخراج بعض الأذون اللازمة للاحتراف سواء في الأندية المحلية التركية أو الخارجية تمنعهم.

وبحسب رصد عنب بلدي، فإن أكاديميات ولاعبين سوريين في تركيا يواجهون نفس العقبات، كما يمنع السوريون منذ عام 2016 في تركيا من مغادرة الولايات المسجلين فيها، أو الإقامة في ولايات أخرى من دون "إذن سفر" صادر عن إدارة الهجرة التركية.

وخلال السنوات الماضية، نشطت أكاديميات رياضية سورية من أجل صقل مهارة اللاعبين، وتقديم التدريبات لهم، وتأهيلهم من أجل الانضمام للأندية التركية، رغم صعوبات عدة أمام ذلك.

وبلغ عدد السوريين في تركيا المقيمين تحت "الحماية المؤقتة" ثلاثة ملايين و97 ألفًا و660 شخصًا، بحسب أحدث إحصائية صادرة عن رئاسة الهجرة التركية، في 22 من آب الماضي.

لا دعم.. ألقاب حاضرة

يغيب الدعم من الاتحادين الدولي والآسيوي للجهات الرياضية السورية في تركيا، منها "هيئة الرياضة والشباب" في "الحكومة السورية المؤقتة"، إذ نفى رئيس "الهيئة"، أحمد الخطيب، في حديث سابق لعنب بلدي، تلقيها أي دعم أو مساعدة من الاتحادين.

وتساءل الخطيب عن سبب عدم دعم "فيفا" للرياضيين "الأحرار" المناهضين للنظام السوري في الداخل السوري خارج حكم النظام، وكذلك في تركيا وبلاد اللجوء.

وحقق السوريون نجاحات لافتة وإنجازات فردية وجماعية خارج سوريا منذ بداية الثورة السورية، كالفوز الذي حققته الطفلة السورية لين ياغي في البطولة الفرنسية للشطرنج للشباب، في 2021.

ودخل الشاب السوري محمد نور قرة، المقيم في السويد، موسوعة "غينيس" للأرقام القياسية، كأسرع شخص يقطع مسافة 100 متر إلى الوراء على عجلتين باستخدام الزلاجة المضمنة (Inline Skates)، في تشرين الثاني 2021.

وحقق الملاكم السوري حيدر وردة عدة بطولات في الملاكمة، أحدثها في 11 من أيار الماضي، حين فاز ببطولة "Lorch Fightnight" بتغلبه على الملاكم الألماني ياسين كولالي.

وفي أيار الماضي، فاز لاعبون سوريون بجوائز في بطولة كأس العالم المفتوحة لـ"الكيك بوكسينغ" (واكو) التي أقيمت في اسطنبول، منهم عبد الرحمن خشيني (12 عامًا) الذي حاز فضية بطولة العالم، وفاز شادي خشيني (15 عامًا) ومحمد خشيني (15 عامًا) ببرونزية.

جودتس..
خليفة هازارد وسلاح أمستردام في مركز الهجوم

مع انطلاق الدوري الهولندي لكرة القدم (إريديفيزي)، في 10 من آب الماضي، برز اللاعب البلجيكي ميكا جودتس (Mika Godts) كأحد أسلحة فريق أياكس أمستردام، لافتًا الأنظار إلى أدائه المميز في مركز الجناح الأيسر.

قدم جودتس صاحب الـ19 عامًا مهارات فنية عالية، على مستوى الدوري المحلي وعلى مستوى الجولات التأهيلية في دوري أبطال أوروبا، وخطف الأنظار بمراوغته وقدرته على اختراق دفاعات الخصم، وسرعته.

تألق الشاب ليس جديدًا، لكنه في نسق تصاعدي، فهو من أبرز المواهب البلجيكية خلال السنوات الخمس الماضية، كما تعد المراوغة من أقوى مهاراته، ووصفته مواقع رياضية بلجيكية بأنه مشابه جدًا في بعض الأحيان لإيدن هازارد، حيث يراوغ ظهيري الفريق المنافس ويقطع الكرة إلى الداخل بقدمه اليمنى المفضلة لتسديد الكرة على المرمى.

في كانون الثاني 2023، توصل أياكس إلى اتفاق مع اللاعب ميكا جودتس ونادي كيه آر سي جينك البلجيكي بشأن انتقال اللاعب إلى أمستردام، ووقع عقدًا حتى 30 من حزيران 2025، ثم مدده حتى عام 2027.

كان نادي أي سي ميلان الإيطالي يريد التعاقد معه، لكن أياكس أمستردام حظي بخدماته، وبعد انتقاله إلى هولندا، تعرض جودتس لإصابة في الفخذ، أجبرته على الغياب عن الملاعب أربعة أشهر، لكنه عاد بقوة، وتابع تألقه ثانية.

في موسم 2023-2022، شارك اللاعب 17 مرة مع فريق جينك تحت 23 عامًا في الدوري البلجيكي الدرجة الأولى، وسجل ستة أهداف وحصل على تمريرة حاسمة واحدة.

وفي آذار 2020، ظهر لأول مرة مع منتخب بلجيكا تحت 15 عامًا، وتدرج في الفئات العمرية لمنتخب بلاده، وتبلغ قيمته السوقية أربعة ملايين يورو، وفق موقع "Transfermarkt" للإحصائيات الرياضية.

يلعب جودتس في الأساس بقدمه اليمنى على الجانب الأيسر، ما يسمح له بالتوجه نحو منطقة الجزاء قبل التوغل إلى الداخل ومحاولة التسديد على المرمى، ويفضّل مواجهة مدافعي المنافسين، ويقوم بالهجوم على الظهيرين لمحاولة مراوغتهم في مواجهة لاعب ضد لاعب.

وُلِد جودتس في حزيران 2005 بمدينة لوفين البلجيكية، ولعب في صفوف شباب أندرلخت ثم في نادي كي آر سي جينك، ويمكنه اللعب بالعديد من المراكز الهجومية.

عنب بلدي
جريدة أسبوعية
تأسست في داريا
enab baladi
من كرْم الثورة

الأحـــد 01 أيلـول / سـبتمبر 2024
العـــدد 654 – السنـــة الثالثة عشـرة
www.enabbaladi.net
20 صفحة

أجساد مستعمَرة.. أجساد للانتهاك

لمى قنوت

يشكّل العنف الجنسي إحدى الأدوات الحربية في أعمال التطهير العرقي والإبادة وترهيب المجتمعات والأفراد المصنفين كخصوم، ذكورًا وإناثًا، وشلّ وكالتهم السياسية على أجسادهم، وإذلالهم نفسيًا ووصمهم بالعار، وقطع نسلهم في كثير من الأحيان، فاختراق الأجساد، مثلًا، كهدف سياسي، يحقق فرض الإخضاع والهيمنة الآنية والمستقبلية، نتيجة آثاره المؤلمة المديدة. كما أن الاختراق، سواء كان بالتهديد أم بالفعل، أم بكليهما، يخدم منهج الإحلال بمعناه الديموغرافي، ويخدم منهج الردع بغاية الإسكات وكمّ الأفواه، والانتقام من أي فعل مقاوم، وزعزعة المجتمعات، والتهجير القسري بغاية الخلاص من الآخر. ورغم عشرات الوثائق الأممية التي تجرم العنف الجنسي بتعريفه الواسع بالقانون الدولي، الذي تديره الدولة أو يرتكبه المحتل والميليشيات، وتعتبره جريمة حرب وجريمة ضد الإنسانية وعملًا تأسيسيًا للإبادة الجماعية إذا ارتكب بنية تدمير جماعة كليًا أو جزئيًا، فإنه ما زال الأكثر شيوعًا في صراعات وحروب التنكيل الانتقامي تحت وطأة الاستعمار والاستبداد والصراعات الميليشياوية. تنبع وطأة العنف الجنسي على المجتمعات والمرتكبة ضد النساء والفتيات من اعتبارهن امتدادًا رمزيًا وماديًا "للأمة"، اللواتي سينجبن الأفراد المدافعين عنها والحافظين لهويتها العرقية والقومية والدينية، وتعتبر أجسادهن مستودعًا للرموز والاستعارات فيتكثف الخطاب والممارسات لحماية الشرف والدفاع عنه، وتسمح ديناميات العلاقات المركبة الواسعة لدى الجماعة، عائلة أم عشيرة...، في منطقتنا، بتماهي الحدود الشخصية للفرد مع صلته بالآخر والهويات الجمعية، فيتوسع الإحساس العام بالمذلة والانكسار الفردي والجمعي.

أما العنف الجنسي ضد الرجال والفتيان خلال النزاعات، وهو الأقل إبلاغًا واستجابة رغم انتشاره، فغالبًا، ما يضعه الناجون في إطار التعذيب والإساءة بدل العنف الجنسي، وهي معانٍ بديلة يستخدمها الناجون لأشكال متنوعة من العنف الجنسي كالاغتصاب والتعقيم القسري بما في ذلك العري القسري، والاستمناء القسري، والعنف التناسلي، وإيلاج أجسام صلبة، والتحسس الجنسي، ناهيك بانتهاكات قد تؤدي إلى العجز الجنسي. والبوح بتلك الجرائم والانتهاكات والتعبير عنها يُعرض ديناميات الهيمنة والسلطة وهرميتها في المجتمعات الأبوية للاختلال، ويُنظر إليها من خلال الإخصاء وانتقاص من الرجولة.

العنف الجنسي المؤسس للإبادة

في فلسطين المحتلة، يتعامل العنف الاستعماري الصهيوني مع أجساد الفلسطينيات كشيء قابل للانتهاك، مدعوم بدعوات تحرض على قتلهن واغتصابهن، كدعوة إيال كريم العسكري في جيش الاحتلال والذي خدم في وحدة المظليات، وعُيّن رئيسًا للحاخامية العسكرية في عام 2016، وأفتى في عام 2012 باغتصاب النساء غير اليهوديات من ذوات المظهر الحسن، "من أجل الحفاظ على لياقة الجنود ومعنوياتهم"، وهذه الفتاوى لا تنحصر بالحاخامات، بل شارك بها، مثلًا، المحاضر والمستشرق مردخاي كيدار في جامعة "بار إيلان" بفلسطين المحتلة، والذي دعا إلى اغتصاب أمهات وأخوات الفلسطينيين لردعهم عن مهاجمتهم.

العنف الجنسي ضد أجساد الفلسطينيين إحدى أدوات الإبادة لعنف الآلة الاستعمارية الإسرائيلية. وقد كشف الفيديو المسرب من معسكر سجن "سيدي تيمان" في صحراء النقب، الذي نشرته القناة 12 الإسرائيلية، وظهر فيه محتجزون من قطاع غزة وهم منبطحون على الأرض ومقيدو الأيدي، ثم اقتربت منهم مجموعة من جنود الاحتياط في جيش الاحتلال، واقتادوا أحدهم واعتدوا عليه جنسيًا، وحاولوا إدخال أسطوانة معدنية في فتحة الشرج أدت إلى ثقب المستقيم وتمزق في القسم السفلي من أمعائه، مع كسور في أضلاعه نتيجة التعذيب، وهددوه إن قدم شكوى.

أبرزَ تطور هذه الجريمة جانبًا من جوانب الجرائم في سجون الاحتلال وتوحش مجتمع المستوطنين، فبعد أن قررت المحكمة الإسرائيلية إيقاف تسعة جنود وضباط في 29 من تموز للتحقيق، نُشرت مقاطع لسجال في "الكنيست" برر خلاله أعضاء من حزب "الليكود" الاغتصاب، وانطلقت احتجاجات صهيونية عنيفة مدعومة من أعضاء في "الكنيست" وبعض الأحزاب ضد توقيف الجنود بتهمة "الاشتباه في سوء المعاملة" واقتحموا معسكر- سجن "سيدي تيمان"، وشُكلت منظمة جديدة للدفاع عن المغتصبين، واعتبرت أن جلسة الاستماع في المحكمة العليا سخيفة وهدية لـ"حماس" وزعيمها، وصرح بن غفير، المسؤول عن مصلحة السجون، بأن اعتقال "أفضل أبطالهم" هو أمر مخزٍ .

أطلقت المحكمة سراح خمسة متورطين في جريمة الاغتصاب إلى الحبس المنزلي لمدة عشرة أيام، ريثما ينتهي التحقيق، دون أن توجه لهم أي اتهام، ومنحت القناة 14 الإسرائيلية مساحة حوارية لأحد أبرز مرتكبي جريمة الاغتصاب الجماعي هذه، الجندي الاحتياط مائير بن شتريت، للتطبيع مع العنف الجنسي وتعذيب الفلسطينيين، وتحميل مسؤولية الجريمة للصحفي غاي بلينغ الذي سرب المقطع المصور. ثم ظهر بن شتريت في فيديو على إحدى منصات التواصل الاجتماعي يدعو فيه الإسرائيليين للخروج إلى الشوارع رفضًا للتحقيق معهم، معلنًا استنكاره لأي إجراءات مساءلة لنخبة المجتمع الإسرائيلي، أي لجيشه.

يشير تحدي بن شتريت أمام الكاميرا إلى شيوع الجرائم بحق الفلسطينيين داخل السجون وخارجها من قبل جيش الاحتلال "كالحق" في الاغتصاب والتعذيب اللذين يسيران جنبًا إلى جنب مع اغتصاب الأرض. ولكي نُقدِر تجذر التوحش و"الحق بارتكاب الاغتصاب" في الكيان الصهيوني، فقد تحول الجندي المغتصب بن شتريت إلى "نجم تلفزيوني" في برامج الترفيه الإسرائيلية.

صرح المحلل السياسي أوري غولدبرغ لقناة "الجزيرة" بأن السؤال في المجتمع الإسرائيلي هو ليس عن الاغتصاب، بل: "هل يمكن لوم إسرائيل أو الإسرائيليين على أي شيء يفعلونه دفاعًا عن الدولة؟"، وأضاف أنه لا يوجد أي فعل، مهما بدا غير أخلاقي للعالم الخارجي، محظور، إذا تم تنفيذه لتعزيز أمن إسرائيل، وقدم مثلًا عن أحد الصحفيين الإسرائيليين لا ينتقد فيه الاغتصاب، بل الطريقة غير المنظمة التي تم بها.

من المستغرب اليوم وجود أصوات تروّج لحل الدولتين غير الواقعي أساسًا على الأرض، وتتوقع من الفلسطينيين، نساء ورجالًا، التحلي بالبراغماتية وضبط النفس والخضوع لوطأة الظلم والاحتلال والتعايش مع هذا المجتمع المتطرف العنيف الذي لا يراهم كبشر، أو تلك الأصوات التي تستنكر أو تتهكم بجميع أشكال الرفض والمقاومة المشروعة في الأعراف التاريخية وفي القانون الدولي لكل شعوب العالم الواقعة تحت الاحتلال.

سجناء في باحة أحد السجون في جنوب إسرائيل- 14 شباط 2024 (Flash90)

العرب والهجاء الشديد

خطيب بدلة

القول بأن "الشعر ديوان العرب" دليل على أن ثقافتنا شفاهية، ارتجالية، أبعد ما تكون عن السرد، والتدوين، والحفظ، والمراجعة، والتأمل. أغراض الشعر عديدة، منها الهجاء، أي أن تبيح لنفسك شتم خصمك، وإهانته، وتصغيره، وإضحاك الناس عليه، دون أن تأتي على ذكر صفة إنسانية جيدة واحدة يمكن أن يتحلى بها.

الشاعر جرير، هجا خصمَه، الأخطل التغلبي، بقوله:

والتغلبي إذا تنحنح للقرى/ حكَّ استَه، وتمثل الأمثالا.

وكما ترون، لم يقتصر الأمر على هجاء الخصم، بل تعداه لشتم القبيلة كلها، وإظهارها بخيلة، شحيحة، إذا مر ضيف بأحد أفرادها، يصبح سلوكه كاريكاتيريًا، يتنحنح، ويحك دبره، ويضرب لضيفه الأمثال لكي يتملص من تقديم واجبات الضيافة له.

الشاعر الأخطل يفعل الشيءَ نفسه، إذ يهجو قبيلة كاملة، بقوله:

قومٌ إذا استنبحَ الأضيافُ كلبَهُمُ
قالوا لأمِّهمُ بولي على النارِ

فهؤلاء القَوم، كما يصفهم، بخيلون حتى بالماء، لذا يطلبون من والدتهم أن تبول على النار، لتطفئها، فلا يرى الأضياف مكان إقامتهم. والأم، بدورها، تبخل حتى بالبول:

فتمسكُ البولَ بخلًا أن تجود به
وما تبولُ لهم إلا بمقـــــــــــــدارِ

يتماهى الهجاء، في بعض الأحيان، مع ما نسميه، بلغة اليوم "التمييز العنصري"، من ذلك بيت لجرير هجا به الراعي النميري، صنفه النقادُ بأنه أهجى بيت قالته العرب:

فغض الطرفَ إنك من نُمير
فلا كعبًا بلغت ولا كلابا

ما يعني أن الفرد في قبيلة نمير وضيع بالضرورة، وأبناء كعب وكلاب عظماء بالمولد.

على ذكر مصطلح "التمييز العنصري"، لا أعتقد بوجود شاعر يفوق المتنبي في احتقاره الآخرين، والاستهزاء بإنسانيتهم. فحين يقول:

مَن علم الأسودَ المخصيَّ مكرمة
أقومه البيضُ، أم آباؤه الصيدُ؟

فإنه، أولًا، يهجو ذوي البشرة السمراء كلهم، وثانيًا، يلوم العبد الذي خصاه أسيادُه، بدلًا من أن يلوم الذين اعتدوا على إنسانيته حينما خصوه، وينفي عنه أي نوع من المكارم لأنه ليس بأبيض. وفي موضوع آخر، من القصيدة ذاتها، يرى المتنبي أن العبد ملوم لأن غيره استعبده، وأنه كائن غريزي، حيواني، يباع ويشترى مثل الأشياء والحيوانات، ولا يمكن التفاهم معه بلغة العقل، بل يحتاج للضرب:

لا تشترِ العبد إلا والعصا معه
إن العبيد لأنجاس مناكيدُ

أعظم شاعر هجاء، في تاريخ هذه الأمة الهجائية، بلا شك، ابن الرومي، ولكنه، كذلك، غير منصف، إذ يترك الشخص المهجو جانبًا، ويذهب بعيدًا في القدح بزوجته، فيقدمها على أنها مدرسة في الخيانة الزوجية، هذا كله لكي يثبت على المهجو أنه قواد. وقد اختص ابن الرومي بهجاء المطربين ذوي الأصوات المنكرة، ولا أظن أن شاعرًا يفوقه في وصف صوت رجل عندما قال:

فكأن جرذان المحلة كلها
في حلقه يقرضنَ خبزًا يابسا

وكان شديد العداء لأصحاب اللحى، لا يترك مناسبة إلا ويهجوهم خلالها، وكان يرى أن وجود العقل في الدماغ يتناسب عكسًا مع ضخامة اللحية، وهذا ما عبر عنه ببيتين مدهشين:

إذا عرضتْ للفتى لحيةٌ
وطالت فصارت إلى سُرَّتَهْ
فنقصانُ عقل الفتى عندَنا
بمقدار ما طال في لحيتِهْ